

العدد ٢٣

كتاب الجمهورية

صبرى أبوالمجد



أمين الراقى

مناضل مصرى
من أجل الدستور
وحرية الرأى

العدد ١٠

كتاب الجمهورية

العدد ٣٣

أول ديسمبر سنة ١٩٧١

الغلاف بريشة محمود فرج

أمين الرافعي

مناضل مصري
من أجل الدستور وحرية الرأي

١٨٨٦ - ١٩٢٧ هـ

صبري أبوالمجد

يَا أَمِينََ الْحَقُوقِ أَذَيْتَ حَتَّى
 لَمْ تَخُنْ مِصْرَ فِي الْحَقُوقِ فَتَيْلَا
 وَلَوْ اسْطَعْتَ زِدْتَ مِصْرَ مِنْ
 الْحَقِّ عَلَى نَيْلِهَا الْمُبَارَكِ نَيْلَا
 تُنْشِدُ النَّاسَ فِي الْقَضِيَّةِ لَحْنَا
 كَالْحَوَارِيِّ رَتَّلَ الْإِنْجِيلَا
 مَا تُبَالَى مَضِيَّتْ وَحَدَاكَ تَحْمِي
 حَوْرَةَ الْحَقِّ أَمْ مَضِيَّتْ قَبِيلَا

احمـد شوقى
 فى
 رثاء امين الراضى



هذا الكتاب
... وصاحبه
للإساذ الكبير :
عبد الرحمن الرافعي

عندما طلب مني الأستاذ صبري أبو الجسد أن أكتب
مقدمة لكتابه القيم عن « أمين الرافعي » تردت راعدت
بأديء الأمر ، إذ استشعرت الحرج في أن أكتب عن أخي
الشقيق . لكن الإساذ صبري لم يعبل عني هذا الاعتذار ،
وحاجني بأن صلني بأمين لم يمنعني من الكتابة عنه فيما
أرخت لمصطفى كامل ، ومحمد فريد ، ونوره ١٩١٩ وفي
« أعقاب الثورة » . فلم يسعني بازاء هذه الحجة السليمة
الا أن أنزل على رغبته ، وبذكرت ما كتبت في هذا العدد
تعليقا على نبأ وفاة أمين إذ قلت : « ان آمينا لم يكن
أخي فحسب بل ان منزلته كمجاهد في الحركة القومية
تعلو في نفسي على منزلته كإخ أكبر لي ، ولولا ذلك لما
شعرت نحوه بهذا الحب العميق الذي كان يفور في
حياته واستمر على الأعوام بعد وفاته » .
على هذا الاعتبار وبهذه الروح أكتب هذه المقدمة ،
أكتبها في نطاق ضيق وفي خجل واستحياء .

ان الصحافة الوطنية هي ركن من أركان الحركة
القومية ، وهي معاصرة لها ، ومتصلة اتصالا وثيقا
بتطورها وتقدمها ، ولها الفصل الكبير في نعت الروح
الوطنية وتثقيف المواطنين وحثهم على التضحية في
الجهاد ، والمساهمة في أمائه ، والتطلع الى المثل العليا
في مختلف الميادين : في السياسة والعلم والاجتماع
والاقتصاد ، في تربية الأخلاق الفاضلة واعداد المواطن
الصالح وتكوين الرأي العام الناضج الواعي .
والصحف في الجملة معالم للحركة الوطنية ، ومראה
صادقة لحوادنها وتطوراتها الهامة ، ولهها في هذه

التواحي رسالة سامية يحملها جنود الصحافة وأعلامها ،
وهي رسالة شاقّة أحيانا وخاصة إذا كانت صحافة عقيدة
ومبدأ . فالصحفي ذو العقيدة قد يضطر إلى مقاصدة
الأقوياء وذوي النفوذ والسلطان في سبيل عقيدته ومبادئه
وقد يواجه صدمات لا يتحملها إلا المجاهدون الصابرون
وقد يواجه أحيانا معارضة من الرأي العام إذا اختلف
واياه في مسألة أساسية يرى فيها وجه الحق فيدافع
عنه على خلاف ما يتجه إليه الرأي العام ، وكم من مرة
نخطئ فيها الجماهير وتتكب سبيل الهدى والرشاد
لم ترجع من خطئها بعد فوات الأوان .

ولقد كان أمين - رحمه الله - من أعلام صحافة الكبار
والعقيدة .. حمل رسالة الوطنية في عصر كانت الظروف
والملاسات تناهضها وتخللها ولا تبشر لها بأي نجاح ،
خاصم الاحتلال وهو في أوج جبروته وطفوانه ، وخاصم
القصر حين كان قويا بتحالفه مع الاحتلال ، وخاصم
سياسة الاستسلام للاستعمار حين كانت هذه السياسة
ثابتة الدعائم قوية الأركان ينضوي إليها الأفراد
والجماعات ويتهافت عليها الانصار والاعوان .. جاهد
أمين في هذا الجو المليء بالأشواك والعقبات ،
فاستهدف لكثير من الأذى والنفذ والخللان ، ولم يهن
ولم يتراجع ولم يتحول عن مبادئه وعقيدته ، واستمر
ماضيا في سبيله حتى وافاه الأجل المحتوم في الواحد
والأربعين من عمره .

إن للصحافة في مصر والشرق تاريخا جديرا بالتدوين
وان تاريخها ليشتمل أكثر ما يشتمل في تاريخ أعلامها
التابيين وجنودها المجهولين وشهداء المعبودين ، وهؤلاء
الشهداء يحملون الفضل الأكبر في إقامة صرحها ورفع
شأنها ، فمنهم روادها الأولون وهم الذين عبوا لها
طريق النجاح ورسوموا لزملائهم صورة رائعة للرسالة
الصحفية .. ولئن لم يكن مطلوبوا من الصحفيين أن
يقلدوهم في الاستشهاد فإن حياتهم مع ذلك نطل معينا

لا ينضب من الصدق والنزاهة والاخلاص في القول والعمل ، وهذا وحده يكفي لاستدامة فضاهم وتخليد ذكراهم .

وهذا الكتاب الذى وضعه الاساذ صبرى ابو المجد من امين الراعى يحتوى على صفحات من جهاد الصحافة في سبيل المثل العليا ، وما اذته للبلاذ من جليسل الخدمات .

والاستاذ صبرى ابو المجد هو خيسر من يكتب عن امين . فهو من حلة رسالته السانرين على بهجه .. ولقد عرفته وتبعته منذ ان كان طالبا في كلية الحقوق الى ان نخرج فيها وشق طريقه في الحياة ، فرائته في الطليعة من شباب الوطنية اعتنق مبادئها لقوية وناضل عنها على مر السنين ولعاب العهود .. ثابر عليها وكرس لها قلبه وانتاجه ولم يتحول عنها رغم ما لهذا التحول من دوافع ومفريات وضغوط ومؤثرات .. لم يستهوه المنافع الشخصية ولا الشعوذة السياسية ، بل ظل متمسكا بمبادئ الوطنية وتغاليها السليمة . ولقد اعبت به من اجل ذلك وشمرت نحوه بابوة روحية جعلتنى ارجو له دوام التوفيق والنجاح فيما هو بسيله من جهاد خالص لله والوطن .

عبد الرحمن الراعى

رسالة الصحفي
للساذ الكبير
فكرى بياظه .

نعم كان صبرى ابو المجد ، وهو يقرر اصدار مؤلفه
هذا عن امين الرافعى ، يؤدى واجبا من افندس واجباته
لوطنى مصرى عربى ، وكذورخ باحت لا ينسى الابطال
الايرار ، وكصحفى امين شريف ينتر على زملائه متسلا
اعلى للمصحفين الامناء الترفاء . وامين الرافعى كان
صحفيا محردا تارة ، وصحفيا مالكا لصحيفه تارة
اخرى . ولكنه فى الحالين لم يكن صحفيا يتجه الى
رواج صحيفته بالاسلوب التجارى المعروف ، ولا كان
صحفيا يرهب بطش الاستعمار البريطانى ولا ولى الامر
حاكم البلد ، ولا كل الحكومات التى كانت سمسند
سلطانها ونعوذها من الانجليز وعهود الخديوية والسلطنة
والملكية .

كان امين الرافعى صحفيا ذا رسالة وفى سبيل
رسالته الوطنية كان قدسنا من القديسين ، وكان
ضحية وطنية من الضحايا الوطنية المخلصة .. كان اذا
انفضى الامر .. اعلن حربه الشمواء على كل تلك القوى
الانجليزية والخديوية والملكية ، والحكومات الخائفة
والمالئة ، ولا يكرث اى اكرات للاضطهاد والمساواة
والوقف والتعطل والاعتقال والسجن .. كان ايمانه اعلى
وارفع وا قوى من كل هذه القوى مجتمعة .

اذكر ، فيما اذكر ، انه فى مناسبات عديدة ففى
عليه فيها ان يعتزل الصحافة مضطرا .. عرضت عليه
المناصب المفزية ذات الجاه والنفوذ والمربيات المربعة ،

فكان يرفض رفضا باتا ان يطاطب رأسه ويقصف قلبه ويتوقف عن أداء رسالته هاربا من الميدان الذى اختاره رغم حاجته الملحة الى عصب الحياة وهو المال ، او قبل بمباراة أدلى الى لقمة العيش ، ورفض مرارا ان يخترق المحاماة لانه رأى بعد تجربة قصيرة ان قضايها لا ترتفع الى المستوى الاخلاقي لقضيته الكبرى وهى قضية الوطنية وقضية الحرية وقضية الجلاء وقضية الاستقلال .

الذكر ، فيما اذكر ، انه عندما تولى رئاسة تحرير « الاخبار » باعتبارها لسانا من السنة سعد زقلاول والوفد ، كانت الارباح بهطل هطول المطر ، على خزينة الجريدة . ولكن حينما لمح امين الرافعى بعض الانحراف وبعض الاعوجاج وبعض التردد حمل حملته الصحفية الحائلة مطالبا بتعديل الاساس اى تعديل برنامج الوفد المصرى فى مطالبه الوطنية الحازمة ، وبالرغم عن رجساء الاصدفاء فى ان يخفف الحملة فانه ابى ابله الابن البسار لواجبه ورسالته الصحفية فهبط توزيع الجريدة . وكم من مرة جلست الى جواره والحجورات سرى على المطبعة واثاث الجريدة ، ومرافقها بل على المنسزل .. تلك الحجوزات القضائية والادارية التى كانت نذيرا بالافلاس كنت اكثر من مرة بجواره وهو هو ، هو امين الرافعى بجلاله وسموه وارتفاعه وايمانه على سجادة الصلاة ..

أما مطمئنا .. مؤثرا عبادة ربه على عبادة الاصنام .

نعم هذا الكتاب الذى اصغره صديقى وزميلى صبرى ابو المجد ، بعد رتل طويل من مؤلفاته الوطنية ، هو قمة كتبه ، انه رسالة الصحفي المثالى النموذجى الى زملائه الصحفيين ، انه دعوة حارة للاقتداء بصاحب هذه الرسالة ليكون الصحفي صاحب رسالة ولا يكون جهلزا دواج وذبوع لجرد الرواج والذبوع .

بكبرى ابائله

قدمة

أربعة من أطفال قريتنا زاروا القاهرة لأول مرة فى مناسبة مولد السيدة زينب ، ووقفوا جميعا وأنا من بينهم مبهوتين امام الكتب القديمة الرخيصة المعروضة على أسوار حديقة الأزبكية ، واشترى كل منهم ما يتلاءم وميزانيته الضئيلة من مغامرات « أرسين لوبين » و « حافظ نجيب » أما أنا فقد أغرائى كتاب ضخيم يزيد عدد صفحاته على السبعمائة صفحة ، فاشتريته بثلاثة قروش (تعريفة) ، ولم أعرف عن هذا الكتاب الا انه صفقة رابحة لكثرة ما احتوى من صفحات .

وفى القرية - التى خلت من المتعلمين سوانا - بذلت مجهودات مضمّنية لكى أفك رموز هذا الكتاب ، وأكثر من مرة كنت أحمله الى شجرة الجميز فى نهاية حقلنا الصغير القريب من القرية لكى أعرف بعض ما فيه ولكى أتباهى امام الأصدقاء والرفاق بأننى أملك أضخم كتاب فى قريتنا .. وبمرور الزمن أصبح هذا الكتاب رفيق الصبا ، وأصبحت قادرا على أن أفهم بعض ما فيه ، ولست أعدو الحقيقة اذا قلت أن شخصية صاحب الكتاب قد أسرتنى وجعلتنى أفكر فيها أكثر مما أفكر فى أبى وأمى ، وفى دراستى .. فلقد كان الكتاب مجموعة ضخمة من

العواطف الرقيقة المخلصة الحانية ، التي أظهرها بصدق وإيمان مجموعة من الكتاب والشعراء تجاه رجل فقير متواضع ، فدائى مؤمن ، ترك هذه الدنيا وهو لم يتجاوز بعد الحادية والأربعين من عمره .

ولما لم يكن فى قربتنا من يستطيع أفهامى ما لم أعرفه ، فقد حملته معى الى « البندر » عندما لم تصبح مدرسة القرية المحاورة لقربتنا كافية لتحقيق طموحى وآمالى ، وفى « البندر » حملت الكتاب الى مدرس اللغة العربية الذى كان يحبنى ويعطف على وبعاملى كأحد أبنائه ، ورحب المدرس بالكتاب وصاحبه ووعدنى بأن شرح لى ما جاء فى هذا الكتاب . وعندما علم ناظر المدرسة نبأ الكتاب ثار وغضب وأرغى وأزبد واستولى على الكتاب وصادره .. ومنعنى من أن أقرأ بعض ما فيه الا فى وقت الراحة بين الدروس .. وكما كان يلد لى أن أذهب كل « فسحة » الى مكتب حضرة الناظر لأقرأ بعض ما فى الكتاب فى الوقت الذى لم يكن فيه المدرسون قادرين على دخول مكتب الناظر الا بعد استئذان !!

وانقلدنى مدرسى من المشكلة عندما أعطانى نسخة اخرى من الكتاب طالبا منى أن أقرأها فى بيتنا وذلك لأنه رأى الناظر يضيق ذرعا حين أذهب الى مكتبه لأقرأ بعض الكتاب ، ولأنه خشى أن يفصلنى الناظر الذى كان ينتمى الى حزب كان يعاديه صاحب الكتاب ، ولأول مرة بدأت أشغل نفسى بما يسمى بالأحزاب وبالخلافاات التى بين هذه الأحزاب .. كل ذلك ولم أكن قد تجاوزت الثالثة عشرة من عمورى .

وذاث مرة أمسكت القلم ورحت أكتب بضعة أسطر بلغة بسيطة متواضعة للغاية عن صاحب الكتاب بمناسبة قرب ذكراه فى ٢٩ ديسمبر ولم أتردد فى أن أرسل هذه السطور الى رئيس تحرير « الأهرام » فانا لم أر فى حياتى من الجرائد اليومية الا

صحيفة « الأهرام » التى كان يشتريها عم الشيخ ومضمان كل يوم من قطار الدلتا الذى يمر بقريتنا ، وكانت هذه هى النسخة الوحيدة التى تدخل القرية تمر على العمدة والمشايع وبعض الذين يعرفون القراءة والكتابة وبعد ذلك بشهور تقريبا كان يمكن لبعض الأطفال مثلى استعارتها من عم الشيخ رمضان .. ودفعت قرش تعريفة ثمننا لطابع البريد وحملت الخطاب بنفسى الى المحطة حيث سلمته مباشرة الى عامل البريد فى القطار الذهب الى البندر وجلست انتظر .. واكثر من مرة كان الندم ينتابنى من اجل ضياع قرش التعريفة ومن اجل الوهم الذى سيطر على اذ كيف اطمع وانا الطفل القروى الساذج فى ان ارى اسمى منشورا فى صحيفة يومية .. وذات يوم نادانى عم الشيخ ومضمان رحمه الله ليسألنى ان كان الاسم المنشور فى « الأهرام » يوم ٢٩ ديسمبر هو اسمى ام هى المصادفة ، واطلعت على اسمى مطبوعا لأول مرة فى الأهرام .. وعلمت فيما بعد ان الزميل الكبير محمد نجيب ، وهو من تلاميذ القعيد ، قد تقح الكلمة ونشرها على رأس عمود وفى مكان بارز ، وكان طبعيا لاعمرفنى ، وذلك بعد ان قدم لها بالعبارة التالية « تلقينا من الادب فلان كلمة قال فيها » . وكدت اقبل الصحيفة واقبل عم رمضان فى الوقت ذاته فقد كان هذا الذى بين بدى اجمل ما تلقينه فى حياتى من هدايا .

وكانت القصة (قصة الكلمة المنشورة فى الأهرام) حديثا قريتنا ومدرستنا فى السندر لايام عديدة وكانت نقطة تحول فى تاريخ حياتى .. ومضت الايام وكلما كبرت كبر معى حبي لصاحب الكتاب وكلما نما تفكيرى زاد فى الوقت ذاته اعجابى بصاحب الكتاب .. وتطور الحب والاعجاب الى حد دعائى الى ان اقيم وانا الذى لم اتجاوز السادسة عشرة من عمري حفل تايين لصاحب الكتاب فى مدينة المنصورة وفى جمعية المساعى المشكورة بالذات بعد ان شملنى برعايته وعنايته رئيس هذه

الجمعية وأحد أقطاب الفدائية الوطنية الدكتور عبد الغفار متولى وتلقيت يومها كتاب اعتذار عن عدم الحضور من عبد الرحمن الرافعى شقيق صاحب الكتاب « أمين الرافعى » واستدعاني رجال الشرطة .. فقد كنا فى وقت الحرب وكان ممنوعا اقامة الاحتفالات الا باذن خاص وكان تحقيق ، وكان سجن لم يستغرق أكثر من ليلة ، وكانت علة ساخنة لاتزال آثارها باقية فى الجسم حتى الآن ، ومن سوء الحظ أن الخطاب الذى أرسله الى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى كان أحد الأدلة التى استند اليها رجال الشرطة عندما قبض على فى قضية اغتيال المرحوم أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ . وقد حاول البوليس السياسى الربط بين هذا الخطاب وبين وجود صلة بينى وبين محمود العيسوى - قاتل أحمد ماهر - الذى كان يعمل فى مكتب عبد الرحمن الرافعى . وبقيت فى السجن بسبب هذا الكتاب أكثر من سبعة شهور ولم يستطع ذلك كله أن يقلل من حبنى لأمين الرافعى ومن كثرة ترددى على شقيقه عبد الرحمن الرافعى الذى اتخذته بعد أن انتقلت الى القاهرة لأدرس الحقوق فى جامعة القاهرة أبا روحيا بكل ما فى الأبوة الروحية من معان ، ولست بمستطيع القول بأننى قد تخلصت من سيطرة أمين الرافعى على جوارحى واحساسى حتى عندما قررت الاشتغال بالصحافة ، وقيل لى أن لك ملفا من المال فى خزانة الدار ، التى أعمل بها لم أذهب الى الخزانة لتسلم المبلغ لأنى لم أكن أتصور أن كاتبيا يأخذ أجرا لقاء ما يكتبه !

ومنذ حوالى عشر سنوات رغبت فى أن أكتب عن الانسان الذى احببته الى حد التقديس ، وأعجبت به أعجابا ما بعده أعجاب ، ولكنى أحسست برهبة الموقف فان الرجل لم أره بل لم اسمع عنه الا القليل النادر . فكيف أذن أكتب عنه كتابا ؟! وأنا لا أستطيع ان أكتب الا اذا كان الموضوع الذى أكتب عنه مستوفيا كل شرائطه ومستلزماته . وحملت رغبتى الحارة هذه الى

استاذنا عبد الرحمن الرافعى - طبيب الله ثراه - وجلس الرجل كعادته يسمع فى هدوء ، وانا اروى له هدفى من اخراج هذا الكتاب ، فانا لا اريد اسباغ نوع من البطولة على فرد ، وانا اريد ان اعطى مثالا للشعب .. وانا لا اريد ان اعيش فى متاحف التاريخ لبحث عن جثث الموتى وانا اريد ان اقوم بواجب تجاه انفسنا قبل ان اقوم به تجاه شهيدنا الرافعى .. ولم يستطع عبد الرحمن الرافعى ، الا ان يرحب بفكرتى والخجل يقلب كل كلمة من كلماته وكل حركة من حركاته ، كانما كان الرافعى ينتظر مثل هذه اللحظة لان الرجل الذى اخذ على عاتقه كتابة تاريخنا القومى بأحداثه الكبرى ، واعلامه الافذاذ ، لم يستطع ان يقوم بواجبه نحو اعز الناس اليه . لقد ارخ لمصطفى كامل ومحمد فريد ، ولم يستطع ان يؤرخ لثالث الثلاثة امين الرافعى لانه شقيقه . لقد كان يشعر بتمتهى الحرج فى ان يكتب عن شقيقه لا ودفع الى عبد الرحمن الرافعى بكل ما خلفه شقيقه من كتب ومذكرات وخطابات ومقالات وصور ، قائلا : « قد يكون ذلك كله عوناً لك على اداء مهمتك وقد يعوضك عن النقص الذى تحس به وانت تكتب عن رجل لم تره » . ووجدت امينا كعبد الرحمن يحتفظ بكل صغيرة وكبيرة من اوراقه وخطابات الناس اليه بل مسودات الخطابات التى كان يرسلها الى اصدقائه وزملائه ومريديه ، قفى مخلفاته مثلاً : ايصالات الخطابات المسجلة التى كان يرسلها وبطاقات الانتخابات الخاصة به وتذاكر الحفلات التى كان يدعى اليها وبطاقات المعايدة التى كانت تصل اليه ، والمقالات التى كان يرسلها بعض القراء اليه فينشرها ، او لا ينشرها . وفى هذه المخلفات كذلك كل ما يتعلق بالقضية المصرية من مذكرات ووثائق من بينها خطابات من سعد ، وثروت والصوفانى وحاكم البحرين وكمال اتاتورك ، وعصمت اينونو ومدام جوليت آدم وبير لوتى الكاتب الفرنسى المعروف وغيرهم وغيرهم .. وجدت مثلاً - ضمن اوراق الرافعى - سهما قيمته جنيه مصرى .

« جزء من أربعة آلاف سهم صافي الأيراد السنوى بحريدة الدستور » ووجدت سنداً بمبلغ ٥٠٠ مليم « إصال رسم دخول شركة التعاون المالى التجارية بالقاهرة » (١٩١٣) ووجدت أيضاً « استثماراً استعارة » تحمل اسمه من الكتبخانة الخديوية بتاريخ ١٥-٢-١٩٠٨ تحت ضمانات المسيو هنرى لامبا المدرس « بمدرسة الحقوق الخديوية » ودعوة من محافظة القاهرة بتاريخ ١٧-٢-١٩١٤ لحضور جلسة بيع الأراضى المرغوب نزع ملكيتها من ملك نادى المدارس العليا بشارع المتديان لتوسيع مدرسة دار العلوم وخطاباً من تقابة عمال الصنائع اليدوية بعمارة الاوقاف الجديدة بالعتبة الخضراء تخبره فيه « باختياره عضواً بمجلس الإدارة لما عهد فيه من تعضيد الاعمال الخيرية » !! ووجدت خطابات سرية عديدة ، ضمن ما تركه امين الرافعى ، تدل على المكانة التى وصل اليها وما كان يتمتع به من ثقة تامة لدى خصومه وانصاره على السواء . مثلاً خطاب للاستاذ وحيد الدين الأيوبى صاحب الكلمة المعروفة : « تلك الاهرام ويغور النيل ولا يرى تمثالاً لاسماعيل » يقول فيه : « أقسم بشرفى أنى لم أقابل توفيقاً نسيم باشا منذ توليه رئاسة الديوان الملكى الى هذه الساعة ، ولم أر حسن نشأت بك قبل تعيينه بالسراى الى الآن ، غيب مرتين مصادفةً أولاًهما بمحل « صولت » حيث كان معى بهى الذين بركات « بك » والدكتور الجندى وغيرهما ، وثانيتهاً بمنزل الدكتور الجندى فى ظهر يوم كنت مدعواً فيه عنده لتناول الطعام وكان معنا الأستاذ البيلى ولم يتعد حديثى مع حسن بك قولى له : انه شائع ان جلالة الملك لا يريد أن يمنح البلد دستوراً وانى اعتقد ان ذلك مقصود منه ايجاد ما ينفر الامة من جلالته ، فنفى حسن بك الاشساعة وانتهى الحديث ، وانى يا حضرة الصديق اردت ان ابين لك ما تقدم ازاء ما ظننت فى مما جعلك تسمينى نصير الوزارة لانى فى الحقيقة لست نصيراً لملك أو وزير بل انى نصير لاعتقادى وحده » .

وينهى وحيد الايوبى خطابه بقوله : « اريد ان اقسم لك بشرفى بانى لم ادخل سراى عابدين ولا اية سراية سلطانية او ملكية غير سراى هليوبوليس ، لتعزية الامير كمال الدين فى موت ابيه الى هذه الساعة من يوم زرت فيه بالسراى محمود شكرى باشا الذى كان رئيسا للديوان العالى ، وكان ذلك فى عهد السلطان لاوصيه برجل كان مقدما طلبا لوظيفة صراف »

ويكتب سعد زغلول الى امين الرافعى فى ٢٤ يناير ١٩٢٠ من باريس قائلا . اشكر مع اخوانى حضرتكم على عبارات الشناء التى وجهتموها لنا فى خطابكم وما الفصل فى موجب هذا الشناء الالامة التى عضدتنا باتحادها وتضامن افرادها وتفانيها فى حب الاستقلال واتيانها كل يوم باية من آيات الرقى الاجتماعى ومعجزة من معجزات التقدم فى السياسة ، حتى بهرت العالم بهضتها ، وبهتت الخصوم بحسن تصرفها ، فاعلت حقها واسقطت باطلهم ، واننا نقدم لها اوفر تشكراتنا لاتحادها على توكبلنا واجماعها على الامتناع عن المفاوضة الا بواسطةنا ومعتبر هذه الثقة الاجماعية اجل نعمة اسبغها الله علينا واكر شرف تتحلى به نفوسنا كما نعتبر ان الواجب الذى يفرضه هذا الشرف علينا وتلزمنا تلك الثقة بالوفاء به هو اكبر واجب تتحمله امة فى العالم ندعو الله ان يوفقنا للقيام به وان تؤكدوا لمن يحملهم فرط الحب لبلادهم على شىء من التظنن بالماملين ان يعلموا ان هؤلاء احرص الناس على مصلحتها ولا يعملون الا لهذه المصلحة طوعا لسلطان ايمانهم واجابة لنداء شعورهم ولا يتأثرون باى مؤثر يثنيهم عن الوفاء بعهدهم والعدول عن المطلب الاسمى ، الذى نادوا به من تلقاء نفوسهم وجعلوه غاية لسعيهم وهو مطلب الاستقلال التام » .

ويمضى سعد زغلول فى خطابه الذى نشره هنا لأول مرة قائلا : « ان القوة النفسية ، التى دفعتهم للمصاداة به وسيوف الحماية مشهورة فوق رؤوسهم وسهام الأحكام العرفية مصوبة

نحو صدورهم لم تزدهم الا شدة بالتفاف الامة حولهم ؟
وتعزيدها لهم ، وما دام هذا الاتحاد شائبا فلا يمس الضعف
عزائهم ، وما دام هذا الثبات فالنجاح مؤكد باذن الله «
ويضع سعد زغلول حاشية لخطابه فيها : نرسل اليكم الاوراق
التي طلبتموها على الطريقة التي ذكرتموها . ولقد احسنتم في
المعلومات التي افضيتم بها الى مكاتبى الجرائد عندكم وقد كتبنا
منذ بضعة ايام جوابا على تقرير اللجنة - لجنة ملتر - وتحدون
فيه تفصيلات عن رأينا في بلاغ ملتر ، وهى تسركم وتسر الامة
جميعا » .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى رسالة من اسماعيل ابازة
باشا صادرة من بردين بتاريخ ١-١-١٩٢٠ يقول فيها « ادعوك
لان تضم صوتك المسموع الى صوت رجائي لحضرة صاحب
الرسالة التى نشرت بجريدة الاجبشيان مايل وظهر تعريبها
بجريدة الاهرام اليوم (الجمعة) بان نريد « الاوروبايين »
وخصوصا الانجليز بيانا عن حركتنا الوطنية التى ان تجاهلوها
فلا تقوم لنا حجة على تجاهلهم لها الا اذا خاطبناهم بلفتهم «
وان تضم تفانيك فى خدمة الوطن الى غيرتك عليه ونبحث معا
عن يجيد الكتابة باللغة الانجليزية لنتمكن من شرح قضيتنا
بالجرائد الانجليزية حتى لا يبقى لتجاهل علر فى تشويه حركتنا
الحالية » .

ويمضى اسماعيل ابازة فى خطابه قائلا : ارجو الا تمل
الكتابة ولا تسام من تشجيع فيرك على الكتابة فى الحيلولة بين
الامة وبين تهاقثها على البلاغ الذى أصدره اللورد ملتر فالحدار
من هذه المناورة التى استعملنا فيها ما اعتدنا من التسامح
القديم اضعنا كل ما ضحينا به من عرض ومال ودماء ، والحدار
الحدار من التخاطب مع فخامته باى نوع كان وتحت اى ستار
كان الا اذا عزز هذا البلاغ ببلاغ آخر من البرلمان الانجليزى
بجاهر فيه باستقلال مصر استقلال تاما » .

وبين مخلفات الرافعى رسالة من الأستاذ سامى نجيب المحامى يعتذر فيها للرافعى عن سؤاله عن مقالة سوف تنشر فى الاخبار وكان من رأى الرافعى أن المقالة قبل النشر ملك للجريدة وملك لصاحبها أما بعد النشر فهى ملك للرأى العام ، وقال الأستاذ سامى نجيب (٧ نوفمبر ١٩٢٣) « لم أشعر فى حياتى بألم بل بخجل كالذى اعترانى وأنا متشرف بزيارتكم اليوم وذلك للخاطن البعيد جدا ، عن تفكيرى والذى مر بكم وعلم الله لولا احترام لخاص لشخصكم وتقدير ممتاز لكل ما يكتب فى صحيفتكم الفراء ، ولولا أن أخلاقكم الدمة المتواضعة ذائع امرها شائع ذكرها ، بل الزمالة ولو بغير صداقة خاصة ، لولا هذا كله ما سمحت لنفسى مطلقا أن أسعى للتشرف بزيارتكم رجاء المحادثة فى مسألة قانونية هى الآن شغل الوزارة المطروح أمامها تظلم بعض الموظفين المرشحين . . سعيت اليكم راجيا سماحكم باطلاعى على مقالة سمعت أنها ستنشر فى صحيفتكم بهذا الصدد ولم يك يدور بخلقى أبدا أنكم بحسن تقديركم المشهور تفسرون رجائى هذا بحق ادعياه أو رقابة أزمعها » .

على أنى لم اكتف بالوثائق التى مشرت عليها ضمن مخلفات الرافعى كأنوار قضى لى الطريق ، بل سعيت مرارا وتكرارا الى الكثير ممن زاملوا أمين الرافعى وتشرفوا بصداقته وأعجبوا - جميعا - بشخصيته . قال لى الأستاذ عبد الوهاب على من اكبار صحفى الاسكندرية ومن خيرة من عملوا مع أمين الرافعى ومن الذين ظلوا طوال حياتهم يذكرونه بالخير دائما : « عملت مع أمين الرافعى وموارد الاخبار المادية تفوق فى ارتفاعها كل مقال وبقيت معه حتى ذوت تلك الموارد وذوت معها الاخبار على ما أراها لها الاستعمار وعملؤه ولم يهن الرجل ولم يحزن ولم يقل لقد طال المدى ، وكان يعمل فى الاخبار وهى تطبع من الأعداد المئات من النسخ . . كما كان يعمل وهى توشك أن تصل الى المائة ألف

نسخة في توزيعها اليومي لانه كان يعمل في كلتا الحالتين بعقيدة
واسخة ظل يشرع قلعه للذود عنها ، •

ويروى عبد الوهاب على قصة كان هو بطلها وكان لها اثرها
البالغ في نفسه ، اذ اكدت له أن الصحفي مهما تكن ظروف العمل
لا يليق به أن يعتمد في أخباره على مصادر العدو .. قال
عبد الوهاب على . « كنت أسهر مع نفر من أصدقائي ذات مساء
وكان ذلك في الصيف ، والندوب السامي وموظفو داره يقبضون
في مصفهم برمل الاسكندرية ، فجاءني رجل من الذين كان يتم
ظاهريهم عن الاشتغال بالحركة الوطنية وقال لي ان لقراء الاخبار
عليك حقا في ان توافيهم بأنباء حوادث السودان •

فقلت له وهل انا مقيم بالسودان ؟ ثم كيف ارجو الحصول
على اثناء هذه الحوادث حتى لو نزلت الى السودان وهي كما
تعلم محمية المصادر والوارد ، ودون الحصول عليها أهوال
وأهوال ؟ فتسسم صاحبي عن خبث وقال ولكن زملاءك من
الصحفيين الحريصين على واجبيهم يسارعون الى تلقيها من دار
الندوب السامي في مصطفى باشا فهلا احتدلت حذوهم حتى
لا يشوب عملك نقص من بعض نواحيه •

قال هذا ثم مضى ولم أره •

ولعل اشد ما يلوى من قناتنا معاشر الصحفيين ان نتهم
بالتقصير في اداء الواجب في وقت يفنى فيه المرء منا في هذا
الواجب وقد لدغتنى كلمات صاحبي فذهبت صبيحة اليوم
التالي الى دار الندوب السامي بغية الحصول على ابناء السودان
قبل ان تلدعها البلاغات الرسمية التي كثيرا ما كانت تأخرا
اجراءات طويلة تكون بعض الزملاء قد « تلقنوا » كثيرا من
معلوماتهم وأذاعوها جملة او تفصيلا على سبيل الرواية او
الشائعة قبل اذاعتها بصورة رسمية •

قدمت بطاقتي الى السكرتير الشرقى بها ، وعلى الرغم من ان الكثيرين كانوا ينتظرون قبلى فقد اذن بالمقابلة بعد دقيقتين اثنتين .

وتلقانى السكرتير على باب الغرفة بالبشر والترحاب ، وبعد ان اطرى امينا ونوه بشرف خصومته وعفة قلمه ولسانه على الرغم من مرارتهما سألتى عن الفرض من زيارتى فليخصت له القصة كما افهمنى اباهها صاحبى امس فقال السكرتير بلغة المستشرقين العربية :

— اذن انت تريد اخبارا ؟

— نعم ..

— ولكنك مراسل جريدة خصيمة عنيدة تتهم الانجليز « بانهم كلاب قلدرون » ونحن لا نعطي هذه الاخبار الا للصحف الموالية لنا والتي لا تتهمنا بما ليس فينا .

ثم كثر السكرتير عن نابه وظهرت عليه امارات القضب ودق الجرس فوافاه احد السكرتيرين فقال له بالانجليزية الى بالدوسيه رقم كذا ... ولما وافاه به استخرج عددا من « الاخبار » صدر قبل هذه المقابلة بيومين كتب الاستاذ المازنى افتتاحيته بقلم من نار ، وفى هذه الافتتاحية عبارة نفهم منها ما قصده السكرتير من كلمتى « كلاب قلدرون » ثم قال هل لك وقد جئت الى دارنا ان تبلغ الاستاذ الرافعى ان هذه العبارة تستحق الاعتذار حتى لا تتعرض الاخبار للمحاكمة ؟ انك ان فعلت ذلك وسحبت الاخبار هذه العبارة فانى ساساويك بزملائك فى الانباء ..

ثم افترقنا . وقد فهمت بعد ذلك ان هذه المقابلة قد دبرت ليقول لى السكرتير ما قال . ولكنى مع ذلك بلغت المرحوم الرافعى بك بما جرى فى كتاب خاص كتبت عليه « غير قابل للنشر » . ومارعنى الا ان صدرت الاخبار فى المساء وجعلت

هذا الكتاب موضوعها وكتب عنه الأستاذ المازنى في افتتاحية الصفحة الاولى .

وكتب المرحوم امين في افتتاحية الحوادث يقول : « ان الانجليز يرون في الكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون في ضرب الأبرياء الأمنيين السودانيين ما يستحق المؤاخدة » .

واستمرت الحملة بضعة ايام سكنت فيها دار المندوب السامى ، وسكت لقد كان هذا الرجل العظيم يرى ان الحصول على الاخبار الصحفية من الخصوم عمل يجب أن يتعفف عنه المصرى الامين .

وقال لى الأستاذ محمد نجيب وهو من خيرة الصحفيين الوطنيين « فى خلال نقى سعد زغلول ورفاقه الى مالطة ، كان امين الرافعى هو مسئول لجنة الوفد المركزية وكان الرجل شعلة من النشاط لا متبيل لها اتصالات مستمرة بلجان الوفد ، استقالات طويلة لوفود الشباب والطلاب ، لقاءات سرية مع الفدائيين ، احاديث تفيض وطنية وذكاء باللفات الأجنبية مع مراسلى الصحف الأجنبية الذين كانوا يصرون على مقابلة امين الرافعى لأنه أقدر الناس على فهم رسالتهم . ولأنه أصدق الناس معهم ، ولأنه فى الوقت ذاته أبعد رجال الوفد نظرا واوسعهم ادراكا ، وأكثرهم دراية بالسياسة الدولية ، والى جانب ذلك كان امين لا ينسى أن يكتب فى آخر الليل مقالة أو اثنتين أو ثلاث مقالات لا يضع اسمه الا على واحدة منها . أما الباقي فيتركه بلا امضاء . . وكانت هذه المقالات كلها - وخاصة تلك التى أعقبت ثورة سنة ١٩١٩ - تستهدف اثارة الطريق امام الشعب وتوجيهه الى أساليب الكفاح المجدية ، السليمة . ورغم ما كان يقوم به امين كل يوم من أعمال كنا اذا قلنا له « أنك تجهئ نفسك » ، أجاب باسمنا : « أنا احاول أن اعمل ، اننى لم اقم بما يحب على » .

ويقول رفيق جهاده احمد وفيق : « كافح أمين في سبيل دستور أمته فكان أكبر استاذ لها حتى عرفتته وطالبت به وحصلت عليه ، وجاهد أمين ساعة أن افتقدته وهذاها اليه حتى حصلت عليه ومع هذا ترفع وترفع حتى أن يكون ضمن نوابه ؟ وما كان ترفع أمين عن النيابة استهانة بها وهو موجودها ولكنه لم يكن يطمع في شيء من ميزاتها المادية والأدبية بل كان يؤثّر العمل في الميدان الصحفي ، على العمل في الميدان النيابي لأن الميدان الصحفي أشمل وأعم » .

واسمع من الشيخ محمد عبد اللطيف دراز - أحد الذين صادفوا أميناً « دخلت دار الأخبار بميدان الأزهار فوجدت مجموعات من الشباب الثائرين يصخبون ويهتفون ضد أمين بل يهددونه بإيقاع الأذى ، إذ ظل مستمسكا برأيه في أمر المفاوضات ووجدت أمين الرافعي يجيب هذه الألوف من الشباب الغاضب في حماسة رزينة وشجاعة مؤدبة قائلا : أن لكم أن تحطموا مكتبي هذا وتدمروا الجريدة كلها ، وأن لكم أن تحطموا دارى أيضا ؟ وأن لكم أن تقتلوني وأن تهددوا أمرتى ولكننى أريد أن أريحكم من الآن اذا كنتم تفهمون أن هذا من شأنه أن يحولنى عن عقيدتى أو رأى . فانه ليس فى استطاعة أى قوة فى الوجود أن تحولنى عن عقيدتى الا قوة الدليل وسلطان الحجة » .

وتسمر القوم ، ويهتوا وبدأوا يتراجعون ، كأنما القيت عليهم الماء البارد ، وذهبوا الى من أرسلوهم لتهديد أمين وإيدائه متحدثين عن شجاعة الرجل ، وثباته ، وإيمانه ، واستعدادده للتضحية بكل شيء فى سبيل مبدئه . واقتنع كثيرون من هؤلاء الشباب - فيما بعد - بالرأى الذى كان يراه أمين .

أما الشيخ عبد العزيز جاورش فيقول عن أمين الرافعي : « عندما زار مصر مستر فلنتين شيرويل - مندوب جريدة التايمز البريطانية - لاجراء تحقيق عن الأحوال فى مصر ، قبل

مجيء لجنة ملتر ، طلب من صديقه الدكتور فارس نمر أن يعرفه
بائنين أو ثلاثة من دارسى القضية المصرية ، للاستفادة من
معلوماتهم عن حقيقة هذه القضية وتطوراتها ، واحتار فارس
نمر ، أمين الرافعى - رغم الحصومة السياسية بينهما - وترك
لأمين حرية اختيار اثنين آخرين للقاء فلنتين شيروول وبعد
اللقاء قال شيروول لفارس نمر : اننى أشكرك لأنك عرفتنى بأمين
الرافعى فهو من اقدر المتحدثين فى السياسة المصرية والدولية
ومن أكثرهم وأوسعهم اطلاعا ، وإيماننا بما يقول .

وأضاف شيروول : لقد اقنعتنى الرافعى برايه ولهذا فسأتولى
الدفاع عن وجهة النظر المصرية فى إنجلترا ذاتها .

ويقول الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى : « لم يكن
للعوامل الشخصية دخل فى حساب أمين وما كان بناصر أو
يخالف مدفوعا بحب زيد ، أو بغض عمرو ، بل بما يعتقد أنه
الحق . والأولى والأجلب للخير ، والأفضل لضمان الغاية فى
الحركة الوطنية .. وما أيد أو خاصم ، إلا فى الله . والوطن .
وكان اذا اقتنع برأى القى بين عينيه همه وأعرض عن ذكر
العوائب حائبا . وكم جر عليه ذلك من هموم وعمل وأوصاب لم
يخفها جميعا ولا جعل باله إليها . ولقد رزى فى نفسه وأمله ،
ولده الذى كان قرّة عينه ، وتضعض كيانه ، وانهد بنيانه ولكن
إيمانه بقى له سليما . وصبره ظل موفورا وعزيمته ماضية .
وكم نصحنأ له أن يترفق بنفسه ويبقى عليها فما أسمع الى أحد
منا بل مضى على نهجه لا يحيد عنه يمّة ولا يسرة حتى اختاره
الله الى جواره ، ولم يكن على صلابة نفسه الا مثالا للدعة
والدمائة ورقة الحاشية والحياء والأدب الجم . ولقد عاونته فى
تحرير الأخبار من يوم اصدارها الى أن ضم إليها « اللواء
المصرى » ، فما أذكر أنه كلفنى عملا أو طلب منى الكتابة فى
موضوع أو حال بينى وبين حريتى فى الاختيار وكان دائم

التشجيع لى والترقى بى والصبر على ولم يكن من النادر ان يعفنى عن العمل ويرىحنى من مواصلة الكتابة لاستجى على حين لم يكن هو مترقى بنفسه ، كان يقدمنى على نفسه ويؤثرنى بالرعاية . ووقت حالة الاخبار فكان يعطينى ويحرم نفسه وكان يتمهدنى ويبرنى حتى بعد ان تركت الاخبار وبات بى عنه الى حد ما مشاغل الحياة وصروف الأيام .

ويمضى المازنى قائلا : « لقد كان الرافعى فى حياته الصحفية كما كان فى حياته السياسية لا يؤمن بالتسامح والتفريط فكانت الجريدة التى يتولى تحريرها مظهرا دقيقا لسيرته وسياسته وخلقه لا ينبو فيها حرف عن الغاية التى اتخذها ولا تشد كلمة عن الدائرة التى رسمها ، وكان يقرأ كل حرف ويراجع حتى الاعلانات ولا يأذن ان ينشر فيها ما يخالف رايه ومذهبه وعقيدته كائنا من كان الكاتب وبالق ما بلغ . وقد ظلت الاخبار منذ صدورها الى ان اختاره الله الى جواره لا تنشر اعلانا عن بضاعة انجليزية او عن الخمر . وأذكر ان اصحاب الصحف اجتمعوا عنده يوما وارادوا ان يتفقوا معه على قبول الاعلانات عن البضائع الانجليزية وكانت هذه الصحف قد كفت بضعة شهور على اثر ما اعلنه الوفد ودعا اليه من المقاطعة عقب نفى سعد باشا الى سيشيل ، فأبى كل الأباء ومضى هو فى طريقه وساروا هم فى طريقهم ولم تكن حالة الاخبار حسنة ولا مطمئنة وربما ورد مع البريد شيك بمبلغ ضخم من متجر بريطانى ومعه الاعلان فكان رحمه الله بكلفنى ان اكتب له رسالة بالانجليزية ارد بها الشيك وابلغ المتجر ان الاخبار لا تنشر اعلانات عن بضائع انجليزية وكذلك كان مسلكه فيما يتعلق بالاعلانات عن الخمر . »

لقد كانت شخصية امين الرافعى من الشخصيات النادرة التى لعبت دورا هاما فى تاريخنا الصحفى والوطنى والسياسى، كان امين الرافعى نموذجاً فريداً للصحفى المؤمن برسالته ، مثلاً ان خط اول حرف فى الصحافة الى اليوم الذى لقي فيه ربه .

ولم يكن الرافعى طول حياته يعادى فى السياسة الداخلية شيئا كما يعادى الحزبية ، اذ كان يرى أن الحزبية الضيقة الأفق هى الداء العضال الذى اوجده الاحتلال البريطانى فى قلب مصر ، ليعزق شمل وحدتها وليزرع الحقد فى نفوس أبنائها « ولم يكن الحزب الوطنى ، فى رأيه حزبا سياسيا بالمعنى المتعارف عليه بل كان تجمعا وطنيا ، يضم جميع أبناء الشعب ، وكل ما خارج على هذا التجمع يعتبر خارجا على ارادة الأمة ، ومع ذلك فقد اختلف أمين الرافعى مع أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى واستقال من رئاسة تحرير جريدة « العلم » التى كانت تنطق باسم الحزب وانشأ صحيفة « الشعب » لتكون لسانا يعبر عن الحزب الوطنى ، ولم ير زملاؤه فى عمله هذا شيئا غريبا . . لأن امينا فى كل ما يكتب لم يكن يستوحى الا المبادئ الوطنية السليمة الصادقة .

وقد أيد أمين الرافعى ، الوفد المصرى فى بداية انشائه وعمل تحت لوائه فترة من الزمن - دون أن يخرج من الحزب الوطنى - وعندما اختلف مع الوفد ، حول تعديل اساس المفاوضات مع بريطانيا ، ظل وحده يدعو بكل قوة الى رأيه بالرغم من محاربة الوفد له بكل الوسائل ، ومع ذلك عندما نفى سعد زغلول زعيم الوفد للمرة الثانية كان صوت أمين الرافعى اعلى الأصوات دفاعا عن سعد ومطالبة بالافراج عنه ، فلما عاد سعد من المنفى رحب به ودعا الناس الى الترحيب به ثم اختلف مع سعد فيما بعد ، وعندما دعا رئيس الوفد الشعب الى مقاطعة الاخبار وعدم قراءتها لانه يقرؤها نيابة عنه . وانخفض توزيع الاخبار من ٦٠ الف نسخة الى ما يقرب من الف نسخة لامتناع موزعى الصحف عن توزيع الاخبار ، لم يتراجع بل واصل هجومه على سياسة الوفد . وعندما انطلقت المظاهرات المسلحة تهاجم صحيفة الاخبار وتهاجم صاحبها فى بيته للتخلص منه ومن أسرته والعاملين معه ، لم يتراجع بل استمر فى خطته المعارضة

للوفا بكل قوة وحماسة واندفاع ، وعندما حاولت القوى الاستعمارية الحيلولة بين الوفد وبين الحكم بعد ان حصل الوفد على الاغلبية فى اول انتخابات (١٩٢٤) انطلق صوت الرافعى بنادى بأن من حق الوفد ان يحكم ما دام قد حصل على الغالبية فى الانتخابات . لقد كان الرافعى مع الحق دائما حتى لو كان الحق فى جانب خصومه الذين شرعوا فى اغتياله .

واذا كان امين الرافعى قد عارض الخديو عباس حلمى الثانى معارضة عنيفة واستقال من رئاسة تحرير « العلم » عندما احس بوجود تقارب بين بعض أعضاء اللجنة الادارية للحزب - بعد مغادرة محمد فريد مصر - وبين الخديو . وانتقد امين الرافعى ، الخديو عباس اكثر من مرة انتقادا مرا وخاصة فيما يتعلق بأحداث الخديو مع مراسلى الصحف الأجنبية والتقاءه مع عميدى الاحتلال البريطانى جورست وكشنر .. فقد حارب مع عميدى الاحتلال البريطانى جورست وكشنر مع مراسلى السلطان احمد فؤاد ، عندما كان سلطانا ، وحاربه عندما اصبح ملكا ، وعندما كانت لجنة الدستور تؤدى عملها وكان احمد فؤاد يتدخل فى اعمال هذه اللجنة ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات دعا فيها الى تأليف جمعية وطنية منتخبة من الشعب لاعداد الدستور ، حتى لا يكون الدستور منحة من الملك ، وحتى يكون الدستور نابعا من الارادة الشعبية التى تفرض نفسها على الملك ، وبعد ان تألفت لجنة الدستور على غير ما اراد الرافعى ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات عن حقوق الملك وواجباته وضرورة تقييد سلطة الملك ومنعه من أى تصرف بحيث « يملك ولا يحكم » وعندما سافر الملك فؤاد الى لندن عام ١٩٢٧ لأمه الرافعى على تساهله فى حقوق البلاد ، وانتقاده على خطبه التى ألقاها امام ملك بريطانيا ، ومما قاله امين الرافعى : « ان الخطب التى تبودلت فى لندن بين جلالة الملك فؤاد ، وجلالة ملك انجلترا لم يراع فيها انها صادرة من ملكين مستقلين وانما لوحظ

فى بعض العبارات التى فاه بها الملكان ، ان مصر دولة تابعة لانجلترا كما لوحظ وصف عمل انجلترا فى مصر بأنه تعاون ودى ، فى حين أنه فصب وعدوان على الاستقلال .

واذا كان الرافعى اجرا الصحفيين على الخديو عباس ، والسلطان حسين والملك فؤاد بوصفهم ممثلى السلطة التى كان يطلق عليها السلطة الشرعية فان الرافعى كان اجرا الصحفيين على كرومر ، وجورست ، وكتشنر ، ووينجت ، ولويد بوصفهم ممثلى السلطة الفعلية فى البلاد .

وقد كان الرافعى - الى جانب هذا كله - سياسيا بعيدا النظر ، الى أبعد الحدود . احتدم الخلاف ذات مرة بين قادة الحزب الوطنى ، فى أمر من الأمور ، وكان الرافعى مع الأقلية واتفقت الغالبية مع الأقلية على الاحتكام الى محمد فريد فى المنفى ، وكان رد محمد فريد : « اننى وان كنت بعيدا عن مصر ولا اعرف التفاصيل الا اننى ارجح رأى أمين الرافعى وان كنت لا أراه لأن ثقتى به تجعلنى شخصا ولو كنت محالفا له فى الرأى ، اتبع رأيه فهو لا يقول بغير علم ، ولا يقف هذا الموقف الا وعنده من الأسرار ، ما يبرر بها موقفه » .

فى الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد وسعد زغلول رئيس الوفد ، يقول عبد الرحمن فهمى ، عند الكلام على حذف فقرة من بيان أصدره الوفد وقررت اللجنة المركزية تغيير بعض كلماته وتخفيفها وشطب كلمة (ثورة شعب) : « انتهز الفرصة لاتضح لسعادتكم ماوصلت اليه مناقشتنا أمس فى نشر النداء للامة ولو انه لولا أن زميلى أمين بك فى صف المعارضين لى لضربت بمعارضتهم عرض الحائط ، ولكن الواجب يقضى باحترام مثل رأى أمين بك فى هذا الشأن » .

ولقد كان مؤلما ، بل ومخجلا ، أن تظل شخصية أمين الرافعى دون دراسة موضوعية جادة أكثر من أربعين عاما بينما

الرجل لعب دورا هاما وخطيرا فى التاريخ المعاصر حتى مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعى بعد ان أرخ لمصطفى وفريد ، لم يستطع ان يؤرخ لثالث الثلاثة امين الرافعى خشية ان يقال ان أخا يحابى شقيقه ، ومن أجل ذلك حملنى هذه الامانة منذ اكتم من ثماني سنوات وقد كانت الامانة ثقيلة للغاية لان الذى حملنى اياها استاذ كبير له أثره البالغ فى مجرى الاحداث الوطنية ، ولان الرجل الذى كان موضع الامانة هو امين الرافعى ، احب الكتاب والصحفيين الى نفسى وقلبي ، واكثر هؤلاء الصحفيين صلابة وايمانا وتضحية ، وثباتا ، ولست فى حاجة الى الحديث عن الصعوبات التى لقيتها فى اعداد هذا الكتاب بالرغم مما خلفه الرافعى من آثار ووثائق . ولست فى حاجة ايضا الى الحديث عن مدى مسعادتى ، وأنا اقدم لقراء العربية فى كل انحاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج هذه الدراسة التى ارجو ان اكون قد وفقت فى اعدادها ، والتى ارجو ان تتلوها دراسات اخرى ، فشخصية امين الرافعى متعددة الجوانب ولا يستطيع اى كاتب ان يحيط بكل ما يتعلق بها .

ولست فى حاجة كذلك الى القول باننا فى امس الحاجة الى تناول شخصياتنا التاريخية وخاصة تلك التى كانت ضحايا الاقطاع التاريخى والاقطاع السياسى ، بالدراسة المستفيدة الجادة والموضوعية ، بسلبياتها وابحايياتها وذلك بغية الاستفادة من هذه الدراسات فى كل نواحي الحياة .

والله ولى التوفيق ..

القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٧١ل

صبرى أبو المجلة

صحافة الرأى فى مصر

قد تكون الكلمة ذات تأثير بالغ فى حياة الجماهير تنير أمامها الطريق ، وتقودها الى الخير ، وتمنعها من الوقوع فى الشر ، وتصل بها - أحيانا - فى النهاية الى التقدم والتحرر والانطلاق ، والكلمة التى تستطيع تحقيق هذه الغايات هى الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة ، وليس صحيحا أن حرية الكلمة مطلقة دائما فهى مرتبطة بمصالح الجماهير ومستقبلها ، وهى فى الوقت ذاته مرتبطة بحريات الآخرين ، فالمجتمع لا يحترم حريتك اذا لم تحترم حرية غيرك . والمجتمع لن يدافع عن حريتك اذا انتهكت حرية الآخرين ومنذ بدأت البشرية تخط السطور الأولى من تاريخها والناس يقدسون الكلمة الحرة ويرون فيها أملهم . وكلما بالغ المستبدون فى محاولاتهم للتضييق على حرية الكلمة ، كلما بالغ أصحابها - وبالغ الناس معهم - فى التمسك بها والدفاع عنها . وليس صحيحا - أيضا - أن شرف الكلمة يتعلق بما فيها من خطأ أو صواب فالوقوع فى الخطأ امر عارض يقع فيه الناس فى كل زمان ومكان ، وشرف الكلمة - فى رأى - متعلق بما فيها من صدق،

واخلاص . والايمان بالكلمة ، لا يقتضى أيضا العمل بما جاء فيها ولا الدفاع عنها فحسب بل يقتضى أيضا العمل بما جاء فيها فليس عسيرا ان تؤمن بالمثل العليا وان ندافع عنها بل ان العسير هو العمل بهذه المثل والتقيّد بما جاء فيها ولهذا كانت الكلمة المكتوبة ، الحرة الشريفة النابعة عن ايمان صاحبها بها ومن تطبيقه لما جاء فيها اقوى من الرصاص والقنابل لأن الرصاص والقنابل لا ينفجر الا مرة واحدة بينما الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة تنفجر باستمرار وعلى مدى العصور وربما كان هذا سر عظمة الصحافة وقوتها .

واذا كان التاريخ قد عرف صحافة المبدأ والعقيدة والرأي فقد عرف أيضا صحافة الافاعى والقراصنة . ومعامل الاكاذيب وابواق المفتريات ، وادوات التشهير ، وكما وجد حملة الاقلام الذين يقفون في معسكر الحرية ، والحق ، متحلمين كل ضغط وارهاب وجد كذلك من حملة الاقلام من باعوا انفسهم - بشمن بخس - للشيطان ، والعبودية والاستغلال . وسواء تفلست الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة على الكلمة الرخيصة الدليّة المدفوعة ام تراجعت فان للكلمة الاولى سحرها ومجدها وكيانها وقد بقيت معالم الصحافة الحرة - دائما وابدا - ابرز معالم التاريخ .

ان امجاد الامم لا تقاس . بقدر ما شيدت من طرق وموانئ ومنائر ، ومؤسسات بل بقدر ما تمتعت به صحفها من حرية ، وبقدر ما امتاز به كتابها من شرف وايمان .

ولن تتباهى الامم - فقط - بالمعالم التاريخية والبرلمانات الكبيرة ذات القباب العالية . بل انها تتباهى فى الوقت نفسه بصحفها التى تغذى الحركات التحررية وتؤثر فيها وتتأثر منها . ان الصحف - فى جميع العصور ، وفى كل البلدان - ليست اداة ترف وفضول على قدر ما هى اداة بناء وتشبيك

وهى ليست وسيلة لتضييع الوقت بل هى وسيلة لصنع الانسان وغالبية الثورات - ان لم تكن كلها - من صنع الصحف انها على الاقل تقوم بالدور الذى يقوم به سلاح المدفعية فى ذلك حصون العدو ، قبل الهجوم الأخير على معقله . ان جورج واشنطن - مثلا - لم يشرع سيفه كما يقول كوشغال كليرنى الا للدفاع عن ثورة كانت قد نمت فى الأفكار . اما تكوين هذه الأفكار وتحطيم القيود وتبصير الشعب بحقوقه وإيقاظ وعيه وبمستقبل مستقل عن انجلترا وخلق روح أمريكية وطنية فكانت كلها من أعمال الصحافة .

وكل الشعوب التى كافحت وناضلت من أجل الحصول على حريتها واستقلالها ، وكل الشعوب التى تمكنت من اعلان ارادتها وصنع نفسها بنفسها ، كانت تعتمد أول ما تعتمد فى معاركها على صحافة حرة مؤمنة شريفة يعمل فى ميدانها احرار اشرفاء يقدسون الكلمة ويؤمنون بحريتها وشرفها .

وشعب مصر ، وهو من أعرق شعوب العالم حضارة وتقدما وأقدرهم على التأثير بالحركات التحررية والتأثير فيها اعتمد فى تاريخه الحديث على الكلمة الحرة المؤمنة الشريفة النزينة التى هدته - يوم أن ضلت به السفينة - الى سواء السبيل والتى فتحت أمامه - عندما تكاثر عليه الأعداء - طريق النصر ، والتحرر والانطلاق .

كانت صحافتنا خلال المائة والثلاثين عاما الأخيرة السلاح الذى ذلك حصون الظلم والفساد التى شيدتها ، وبالع فى تحصينها اسماعيل . كانت المنارات التى أصادت لابناء مصر الطريق عندما التقى خصوم مصر من كبريات الدول الأوروبية على تقييد حريتها ومحاولة القضاء عليها . ثم كانت فى الوقت نفسه الجيش القوى العنيد ، الذى لم ينهزم فى أى معركة وان اضطر الى التوارى من الانتظار بعض الوقت . صحافتنا هذه

كانت الوعاء الذى حفظ لنا وثائق تاريخنا والسجل الذى ابقى على الدهر طول هذه الفترة القصيرة من حياة شعبنا كل الأحداث والتغيرات فقد سجلت الخير كما سجلت الشر .

حاربت العدوان كما حاربت الاحتلال والاستغلال سعت - كلما وسعها الجهد لتمهيد الطريق الى الحرية والى الاستقلال سارت فى الغالب مع الشعب فى أيامه السود وأيامه البيض تسرع الخطا ان هو أسرع ولا تبطىء فى السير ، ان هو ابطاء ، وفى أحيان كثيرة كانت تسبقه ولا تتخلف عن مسيرته الا بقوة السلاح . . وبقى منها ما وقف مع الشعب ، وما عبر عن ارادته الحرة ، وما اخلص فى حمل الأمانة واداء الرسالة واختفى منها - مهما جمع أصحابها من أموال وما حصلوا عليه من نفوذ - ما اختلف مع الشعب وما وقف ضد مصالحه وأهدافه . لقد استطاعت صحافتنا - فى مستهل حياتها - ان تقوم بأدوار خطيرة فى النهوض ببلدنا وفى تطوير شعبنا ، واستطاعت فى الوقت نفسه ان تلعب فى حياة الجماهير . شاركت صحافتنا - منذ بداية ظهورها - فى كل قضايا الشعب وتحملت - كما تحملت كل أدوات الكفاح والنضال الشعبى - الكثير من التضحيات ، واذا كانت اقلية ضئيلة من صحفنا ، تنتسب زورا وعدوانا الى بلدنا ، قد وقفت فى فترة من فترات التاريخ طالت أم قصرت الى جانب المستعمر تسبىح بحمده وتمجد عدوانه وتمسح بعتباته وتشر أكاذيبه وترهاته من أجل ان تعيش على فتاته فحسبنا ان هذه كانت من القلة والضالة الى الحد الذى جعلها لا تستطيع وقف عجلة التاريخ وحسبنا فى الوقت نفسه ان غالبية صحفنا قد رفضت أن تداس حرمتها بالاقدام كما رفضت ان تشتري بالاصفر الرنان وتحملت كل ما يمكن ان تتحمله الاعلام الشريفة من تضحيات جسام بايمان ثابت واخلاص قوى وصبر دائم وقدرة فائقة ولم تنجح وسائل الضغط والارهاب كالتعطيل والمصادرة والسجن والاعتقال والتشريد فى

الحيولة بين هذه الصحافة الحرة ورسالتها وبين هؤلاء الصحفيين الأحرار ، وبين أداء دورهم الطبيعي في تحرير الشعب واستقلاله وقد استطاعت صحفنا رغم وسائل الإرهاب والضغط والعنت أن تكون حلقة الاتصال بالعالم الخارجى ، فننقل ثقافته الجديدة وفلسفاته الحديثة كما استطاعت أن تنقل الى الشعب اصدق الانباء عن الحركات الثورية التى قامت فى أوربا وأمريكا .

ومهما تكن الظروف التى واكبت تطور الصحافة المصرية فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين الا انها - فى الغالب - كانت معبرة عن التغيير الذى ظهرت ملامحه فى المجتمع المصرى منذ وفاة الخديو توفيق (١٨٩٢) وتولية ابنه الخديو عباس حلمى الثانى ، ولقد استطاعت الصحافة المصرية رغم ظروفها الخاصة ورغم الوسائل التى استخدمت للضغط عليها أن تساهم مساهمة كبيرة فى خلق رأى عام مستنير كانت له قوته فيما بعد ولقد انفردت صحفنا - فى تلك الفترة بميزة قل أن يشهدها تاريخ الصحافة فى أى بلد آخر . ذلك أن الصحف اليومية الكبرى المؤيد ، واللواء والجريدة التى سيطرت على رأى العام فى تلك الفترة كانت التجمعات الأولى للأحزاب الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وقد كان أمين الرافعى ممن تتلمذوا على يد مصطفى كامل فى جريدة « اللواء » .

مولد صحفى كاتب

نشأ أمين الرافعى كما ينشأ فى العادة أبناء الموظفين محدودى الدخل فى البداية فى كتاب من كتايب المدينة أو القرية حيث يتم التعليم عن طريق الفقهاء والعرفاء لا كتب ولا قماطر ولا كراسى ، الجميع يجلسون على الحصير أو على الدكك الخشبية التى غطيت فى النادر بالحصير والاعتماد - فى التعليم - على ألواح من الاردواز ثم ألواح خشبية بعد الوصول الى مرحلة معينة من التعليم . حفظ الأجزاء الأولى من القرآن الكريم يتم عن طريق السماع واللقاء الجماعى ، ثم بعد ذلك يكون الحفظ عن طريق الألواح الخشبية أو عن طريق المصحف مباشرة التلاميذ يأخذون معهم غداءهم ولا يعودون من الكتايب الا فى نهاية النهار . أما من قرب منزله من مكان الكتاب أو ارتفع ما يدفعه من أجر فيستطيع تناول غداءه فى بيته ، ثم يعود الى الكتاب ، الواحد منهم - اذا كان ذكيا ومستقيما - يستطيع أن يحفظ القرآن الكريم فى العاشرة من عمره أو فى الحادية عشرة وبعد اتمام حفظ القرآن وتجويده الفية بن مالك ، وبعض المتون التى تفيد فى دراسة اللغة العربية يصبح مؤهلا للالتحاق بالازهر أو اية مدرسة أخرى .

ويدخل أمين الرافعى واحدا من هذه الكتايب هو كتاب الشيخ جلال بشارع درب الحصر بالقاهرة لفترة من الوقت وبعد أن انتهى من دراسته الأولى فى الكتاب انتقل الى مدرسة الزقازيق الابتدائية الاميرية حيث عمل والده فترة من الوقت ثم

انتقل الى مدرسة رأس التين الابتدائية أيضا عندما نقل والده في عام ١٨٩٨ الى الاسكندرية وقد نال أمين الابتدائية سنة ١٩٠١ كما نالها في نفس العام شقيقه عبد الرحمن - ويقول عبد الرحمن الرافعي في مذكراته : « حين علم أحد اقربائى بالنبا وكنت اجهله سارع الى الحضور لنزل والدى بالانفوشى شارع قصر رأس التين رقم ٥٨ وهو المنزل الذى نلت فيه الشهادة الابتدائية والثانوية وليسانس الحقوق ، لبشرنى بالنجاح فالغاني فى حديقة المنزل يجرنى أخى أمين فى قفص من الجريد جعلنا منه شبه عربة صغيرة نتناوب ركوبها وجريها بحبل فنادانى بلهفة فتركت القفص أسأله عن الخبر فهأنى بالنجاح واطلعنى على نسخة اللواء التى فيها اسمى ضمن الناجحين فى الشهادة الابتدائية فضحكت مغتبطا . ثم عدت الى قفص الجريد لنتم أنا وأخى عملية الجبر واللعب » وكان أمين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن بعد نجاحهما فى الابتدائية يترددان على قهوة انيقة بشارع رأس التين تجاه سراى محسن باشا كل يوم جمعة حيث كان صاحبها الحاج أحمد يقدم لهما شراب الليمون الذى يتقنه اكل الاتقان ويطلع بهما كما يطلع بقية الزبائن على بعض الصحف اليومية التى كانت تصدر وقتئذ ومنها اللواء واذا كان عبدالرحمن لم يتبين منهج اللواء ولا الصحف الاخرى لصغر سنه فان امينا لكبر سنه وتفتح مداركه ومتابعته لقراءة الصحف والكتب والاستماع الى كثير من الأحاديث التى كان يلقيها بعض الذين شهدوا وعاصروا احداث الثورة العربية وكان أثر فهمه لمناهج اللواء والمؤيد والأهرام ويدخل الشقيقان أمين وعبد الرحمن معا مدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية وقد كانت من أهم مدارس القطر واساتذتها من خيرة الاساتذة علما وخلقا - ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « كان من بين اساتذة مدرسة رأس التين الثانوية المرحوم عثمان بك لبيب وكان يلقي علينا بين حين وآخر حديثا عن حالة البلاد السياسية وكان

ونظما صميما لا يفتأ يظعن في سياسة الانجليز ويذكر لنا كيف احتلوا مصر قدرا وغيلة وكيف يعملون على ارساح اقدامهم في البلاد ويحاربون الروح الوطنية وكان يقول لنا خلال احاديثه : « افهموا يا ولاد كويس » ، كنت لاحظ انه حين يبدأ الحديث في السياسة يفلق بنفسه باب الفصل لى لا يسمع حديثه ناظر المدرسة . وكان كثيرون من مدرسيها يتخبرون بعض الطلاب النبهاء ويلقون عليهم بعض الدروس الوطنية خارج المدرسة بل كانوا يطلعونهم على بعض الصحف التى كانت تصدر فى الخارج وتهرب الى مصر خلسة وما اكثر المرات التى التقى فيها امين الرافعى بزملاء له خارج المدرسة وكانوا جميعا يشعرون مثله بالضيق الذى يشعر به وكانوا يحسون الرغبة فى العمل من اجل انقاذ بلادهم كما كان يحس وما اكثر تلك المناظر التى كانت تثيرهم كل صباح وكل مساء مناظر الجنود البريطانيين بخوذاتهم وحراهم وهم يسرحون ويمرحون فى شوارع العاصمة الثانية على اية حال فان الصبى امين الرافعى - الذى ولد مرهف الحس - عاش سنواته الاولى - متنقلا - تبعا لتنقلات والده « فى كثير من عواصم الاقاليم يحس بالكآبة والحزن والالم لما وصلت اليه احوال البلاد بعد الاحتلال حيث استولى الاحتلال على كل شىء فى البلاد . تأثر الرافعى كما تأثر غيره من الشبان بالظروف القاسية المريرة التى كانت تحيط بالشعب الذى كان يشن كالاسد الجريح يعانى آلام المرض والجوع فى قفص حديدي لا يستطيع ان يتحرك فى داخله وكان زعماء البلاد وقادتها وكبار مفكرىها - فيما عدا قلة ضئيلة قد استولى عليهم اليأس القاتل واحالهم الى احجار صلبة لا تتحرك ولا تحس بل ولا تتنفس حتى لقد خيل للشباب فى تلك الفترة ان يقفلة البلاد من رقدتها تكاد تكون من المستحيلات .

غير ان دوام الحال من المحال فالشعوب الاصيلية العريقة لا يمكن للهيمنة مهما تكن شديدة وقاسية وعنيفة ومفاجئة ان

تقضى عليها وقد تسكتها الى حين قد تضايقها وتؤلها بل وتعيقها من التحرك بعض الوقت ولكنها بعد زوال المفاجأة تعود أقوى مما كانت وأكثر قدرة على التحرك عما كانت عليه قبل الهزيمة . لقد بدأ الشعب بفتح عينيه ويتطلع الى ما يجري حوله ساكنا صامتا في البداية الى أن عادت اليه قدرته فبدأ يتحرك من جديد ولست أدري هل هي المصادفة البحتة أم هي الظروف السياسية والاقتصادية والنفسية التي جعلت من أولئك الإبناء الذين ولوا قبل الثورة العربية وأثناءها وفي أعقاب الهزيمة كمصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وأمين الرافعي ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي وغيرهم وغيرهم يحملون المشاعل في مطلع القرن العشرين ويصبحون فيما بعد قادة ثورة ١٩١٩ التي قامت بعد ستة وثلاثين عاما من هزيمة الثورة العربية .

لقد بدأت الظروف تتغير لصالح الشعب وبدأ الرافعي يحس بهذا التغيير في مدرسته الثانوية فالتفنى بحب الوطن واقتناص المناسبات الدينية كهجرة الرسول والمولد النبوي لإقامة احتفالات ذات مغزى وطني الى تأليف خلايا سرية تضم بعض الشباب المتفتح للعمل الوطني والباحث عن طريق الخلاص وخيل للرافعي أن الأمل في اليقظة وقد كان الى أمد غير بعيد مستجيلا قد أصبح اليوم محققا والمستقبل الذي كان الى سنوات قليلة يبدو مظلما قد بدأ يشرق من جديد حتى رأى العام الذي حجبته الهزيمة المفاجئة وقيدته بل وقتلته أخذ يتحرك وتتسع دائرته والزعماء والقادة الذين كتبت عليهم الهزيمة والاحتلال ألا يتحركوا بل ألا ينطقوا راحوا يتهايمسون ثم راحوا بعد الهمس يناقشون ويتكلمون والوزراء أحجار الشطرنج التي لم تكن تحس وجد من بينهم من يستقيل بل من يعلن للناس أسباب استقالته والجيش الذي بالغ المحتلون في إذلاله كما بالقوا في حرمانه من السلاح واختيار ضباطه واحدا واحدا أخذ يتعملل غيظا والمأ كما راحت طلائعه الشابة تتلمس طريق الخلاص وتبحث قضايا

الوطن فى حذر شديد والشبيبة المصرية التى عمل المحتلون كل ما يمكن عمله ليقطعوا كل الصلات الثقافية والتاريخية التى تربطهم ببلدهم لفة او تاريخا دب فيهم امل جديد اقلق المستعمر وازعجه . ويتأثر الرافعى بذلك كله ويندفع رغم ضعف صحته حيث كان يشكو الصرع الذى أضاع عليه بعض سنوات دراسته ، الى ميدان العمل الوطنى ليشارك كخطيب فى بعض الحفلات المدرسية ثم يشترك كمتظاهر فى بعض المظاهرات التى سيرها الطلاب فى المناسبات الوطنية ويندفع الرافعى اكثر واكثر فى مجال آخر يتلاءم تماما مع ظروفه وسنه اعنى مجال القراءة فالرافعى وقد ولد فى بيت علم وادب وشعر اتاحت له الظروف أن يقرأ كثيرا من الكتب الادبية والفلسفية والاجتماعية والدينية والقراءة عند الرافعى كالطعام والشراب والتنفس لا يمكن الاستغناء عنها والقراءة عنده تعنى الاستفادة دائما . يقرأ الرافعى كل ما يقع تحت يده من كتب وصحف يقرأ بالعربية والفرنسية لخصوص الوطن ولأن يقفون الى جانبه ولا يكتفى الرافعى بالقراءة بل نراه بلخص كل ما يقرأه فى كراسات يحتفظ بها الى وقت الحاجة ولا تكفيه قراءة الصحف فى دار الكتب أو فى المقهى الذى تعود أن يذهب اليه كل جمعة هو وشقيقه عبد الرحمن بل ينفق معظم مصروفه اليومى فى شراء هذه الصحف التى يقرأها - كما يقول شقيقه عبدالرحمن - قراءة من يرغب فى الاطلاع والاستفادة معا وتؤهله كثرة قراءته واستعداده ليكون كاتبا وكاتباً قديرا .

فعلى اثر تخرج امين الرافعى من المدرسة الثانوية التحق بمدرسة الحقوق الحديوية عام ١٩٠٥ ، وانضم فى الوقت نفسه الى هيئة تحرير صحيفة اللواء باعتبارها صحيفته المفضلة التى تعبر بصدق عن أحلامه وآماله ، ومضى فى دراسته ، كما يعضى الطلاب المتفوقون الحريصون دائما على الحصول على أعلى الدرجات . وكان فى الوقت ذاته حريصا على قراءة ما يقع

تحت يده من كتب وصحف ومجلات وحريصا على أن يشهد باستمرار الندوات التي كانت تعقد في « اللواء » و « المؤيد » والتي كان يتحدث فيها مصطفى كامل ومحمد فريد وأحمد لطفى وعمر لطفى ، ولم يكن الشباب وقتئذ يحضر هذه الندوات كمستمع فقط بل كان يناقش ويجادل ويفذى آراءه الحرة بكل صراحة وقوة اذ كانت هذه الندوات مليئة بالحركة والنشاط ، مرة كان الاستاذ ابراهيم الهلباوى يحاضر في احدى هذه الندوات ، والهلباوى هو محامى الاحتلال فى قضية دنشواى ورأى الشباب ومن بينهم أمين انه لا بد من التعبير عن رأيهم فى شخصية الهلباوى فذهب عديد منهم الى مكان المحاضرة بدار « الحرية » وجلسوا فى الصفوف الأولى والصفوف الأخيرة وما كادالمحاضر يجلس الى منصة الخطابة حتى اطلق الشباب اسرابا من الحمام اشارة الى حادثة دنشواى التي كان سببها صيد الحمام .

وكان الرافعى يتحدث فى كثير من هذه الندوات بأسلوب شائق فى المناقشة وعرض آرائه . فاتيح له ان يتعرف الى كثيرين من الشخصيات السياسية والصحفية . ولم تكن مدرسة الحقوق التي أصبح الرافعى بعد فترة قصيرة من أبرز طلابها مدرسة عالية عادية فحسب بل كانت فى هذه المرحلة محور كثير من الحركات السياسية والوطنية . ولما كان الرافعى صاحب قلم وصاحب حظوة لدى مصطفى كامل « صاحب اللواء » وله علاقات وثيقة بكثير من الاقطاب فقد أصبح من الزعماء البارزين فى المدرسة وفى كثير من المناسبات كان يقود طلابها وكانت مدرسة الحقوق تقود بدورها المدارس العالية والثانوية والابتدائية . ففى عام ١٩٦٠ - مثلا - وقع اضراب مدرسة الحقوق احتجاجا على بعض القرارات التي أصدرها مستر أرشيبولد نائب ناظر المدرسة بخصوص عقاب الطلبة الذين يتخلفون عن الحضور وحرمانهم من الدرس والامتحانات بل من التوظف فى الحكومة وكان أمين الرافعى على رأس اللجنة التي

الفت لادارة حركة الاضراب الذى استمر فترة طويلة وكان هو الذى يتولى صياغة البيانات والمنشورات التى تصدر باسم الطلاب وتوزع عليهم أو تنشر فى الصحف وقد بذل اللورد الكرومر - رجل الاستعمار العتيد - جهودا مضنية لكى يفشل هذا الاضراب كما بذل جهودا شاقة اخرى لتفتيت وحدة الطلبة بالدس والاغراء غير أن كل هذه الجهود فشلت ونجح الطلاب فى تحقيق اهدافهم من الاضراب .

ولما كان الشباب المصرى المثقف طليعة العاملين فى الحقل الوطنى . فقد رأى قادة الحركة الوطنية ضم جهود هؤلاء الشباب فى ناد يجمع بين طلاب المدارس العليا وخريجيهها فانشئ نادى المدارس العليا فى ابريل ١٩٠٦ وانتخب أمين الرافعى وكان عضواً فى مجلس ادارته . وبعد تخرجه فى المدرسة انتخب سكرتيراً للنادى وظل انتخابه يتجدد كل عام حتى ١٩١٤ عندما أغلقت السلطات العسكرية البريطانية النادى وباعت أثاثه . ولم يكن نادى المدارس العليا محورا للنشاط السياسى فحسب ، بل كان محورا للنشاط الاجتماعى والثقافى أيضا . ففى هذا النادى انشئت جمعية رعاية الاطفال وفى قاعاته اجتمعت لجنة ادارة الجامعة المصرية وولدت فكرة انشاءمدارس الشعب ومشروع النقابات الزراعية .. الخ ، وكان نادى المدارس العليا الى جانب ذلك معهدا اخلاقيا يروض الشباب على الاخلاق الطيبة فقد انفرد دون غيره من الاندبة بتحريم لعب القمار وكذلك تحريم المسكرات وقد ذكر الرافعى فى خطبة القاها بمناسبة عيد تأسيس النادى أن النادى أقيم على أساسين متينين هما الاعتماد على أنفسنا ومساعدة الأمة لنا ، فلم تقتض دعامته بل أخذ يقطع سنياه الأولى ثابت القدم عزيز الجانب لقد كنا متخوفين وجلين عند تأسيس النادى ولكن بفضل اعتمادنا على أنفسنا ومساعدة الأمة لنا ذهب عنا الخوف والحزن .٠٠ لقد سقيناه ماء الاخلاص وسقيناه ماء العمل المؤذن بالثمر فكان

مثله كمثل أرض هامة فانزل الله عليها الماء فاهتزت وربت وانبتت
من كل زوج بهيج .

على أن نشاط الرافعى فى نادى المدارس العليا وفى
مدرسة الحقوق لم يمنعه من مزاوله نشاط آخر محبب الى
قلبه ذلك هو نشاطه الصحفى - يقول الأستاذ أحمد حلمى
المحرر الاول للواء وخير من كتب عن مأساة دنشواى « عرفت
الرافعى وهو طالب بمدرسة الحقوق فكان اول قبس ظهر من
شمع ذكائه تلك المقالات الممتعة التى كان يكتبها عن حياة
جاريبالدى واعمال ذلك الوطنى الايطالى العظيم . وكنت اجعل
لها اظهر مكان فى اللواء لانها تقع من نفسى موقع الزلال فى فم
الصادى وقت القائلة ويظهر أنه كان يكتب عن جاريبالدى بعد
دراسة تشربت بها نفسه حتى لبست روح جاريبالدى فكان
مثال التفانى فى حب مصر ، كما كان جاريبالدى مثال التفانى
فى حب ايطاليا وهكذا شب وطنيا لا تشوب وطنيته أى شائبة
يؤاخذ عليها » .

اما الشيخ عبد العزيز جاويش الذى رأس تحرير اللواء
فى أيام مجده فبقول : « شغلنا بأمر اللواء فى ذلك الوقت
وكان أمين تلميذا فى الحقوق هو والأستاذ عبد الرحمن الرافعى
ومحمد زكى على ومصطفى الشوربجى يختلفون الى اللواء فكانت
أجد فيهم الايمان القوى وكنت أجد فيهم المبادئ التى لا تؤثر
فيها الزلازل ولا الزعازع كنت أجد فيهم العلم الصحيح والعقيدة
الوطنية الراسخة وكان أمين وهو يشتغل معى فى اللواء مثال
الحد والكمال وكان يعجبني فيه الراى الصائب والوفاء لمبدئه »
اما الأستاذ مسعود فراج مسعود وهو من الذين عملوا فترة
طويلة لتطوير الأزهر فيقول : « فى أوائل ١٩٠٧ عرفت أمين
الرافعى وكان اذ ذاك فى أوائل سنى دراسته بمدرسة الحقوق
الخدوية وكنت سكرتيرا لجمعية الاتحاد الأزهرى التى قامت
تطالب باصلاح الأزهر وتغيير نظمه القديمة البالية عرفنى

بدافع الخدمة الوطنية اذ كان يقضى وقتا من يومه بادارة جريدة اللواء ليساعد صديقه المصلح الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء وكان اللواء وقتئذ مناصرا لجماعة الاتحاد الازهرى عرفته وهو يجول بدراجته جهة الازهر لمعرفة ما قرره الجمعية وما تريد فعله فكنا نتقابل يوميا لاعطائه المعلومات التى يجب ان تذاع بلسان اللواء فعرفت فيه الصدق والاخلاص والحرص والعمل لخدمة المجموع وكنا آنذاك نطارد من الحكومة مطاردة المفضوب عليهم وكانت المصلحة تقضى علينا ان نتنكر بملابس مستعارة ونجتمع فى أماكن خربة أو شبه خربة حتى نخفى عن البوليس والجواسيس والرقباء ، ولكن العين الوحيدة الجادة ، التى تدرك أماكننا دائما ، وتعرف أشخاصنا دائما رغما عن كل تنكر واختفاء هى وحدها عين أمين الرافعى وهكذا ظل مؤازرا ومرشدا حتى انتهت المسألة على ما أحبه الأزهريون وارتضوه وعلى ما دونه التاريخ ووعاه وكانت دراسات الرافعى عن جاريبالدى - وقد سبق الإشارة إليها - أول ما نشر لأمين الرافعى فى اللواء ابتداء من ٥ أغسطس ١٩٠٧ وتعتبر هذه الدراسات من خيرة ما كتب عن الزعيم الإيطالى وهى تصلح لأن تكون كتابا قائما بذاته فقد جاءت فى سبع عشرة مقالة كان اللواء ينشرها فى أبرز مكان ولم يوقع الرافعى هذه المقالات باسمه الصريح رغم الجهد الشاق الذى بذله فى إعدادها اذ كان يوقعها باسم حقوقى اسكندرى أو حقوقى ، وكلمة اسكندرى تشير الى الاسكندرية حيث كان الرافعى يقيم فى أجازته الصيفية .

وقد نشرت سلسلة المقالات التى كتبها أمين الرافعى عن جاريبالدى بصورة منتظمة أو شبه منتظمة فى جريدة اللواء وكان الرافعى يقطع السلسلة لينشر بعض مقالاته التى تتناول أمورا طارئة كتهنئة الشعب الإيطالى (٢٠ سبتمبر ١٩٠٧) بعيدا الحرية والاستقلال وكذلك ما كتبه عن النفى الإدارى والحرية

الشخصية فى ٢١ أكتوبر ١٩٠٧ وما نشره عن النفى والسلطة التشريعية (٢٤ أكتوبر ١٩٠٧) وفى هاتين المقتلتين دفاع حار عن الحرية الشخصية وتقد عنيف أن يدهم حل الامور وعقدها الذين يقيدون الحريات الشخصية بقوانين جائرة ظالمة تؤدى الى وقوع البلاد فى مهاوى الذل والاستعباد . ومن بين هذه المقالات التى قطع بها سلسلة كتاباته عن جاريبالدى ما كتبه فى ٦ نوفمبر ١٩٠٦ تحت عنوان « رجاء الى صاحب اللواء » طلب فيها من الزعيم مصطفى كامل أن يمسك قلمه عن مناقشة الدين يشتمونه ويسبونه لانهم راوا أن بضاعتهم مزجاة وانهم على باطل ، فلم يجدوا شيئا يكتبونه غير التفسير والسب والقذف وحتى أصبحنا لا نقرأ فى وريقاتهم غير ما كنا نقرأه من قبل الحمارة والخلاع ، واختتم مقاله هذا طالبا من مصطفى كامل أن يمسى فى عمله آمنا مطمئنا فالامة شاخصة اليه بأبصارها متجهة اليه بقلوبها واقفة على أهواء هؤلاء السفهاء الذين حقت عليهم كلمة الامام على : اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا .

ويطول بنا المقام لو استعرضنا كل ما كتبه الرافعى وهو طالب فى كلية الحقوق كما يطول بنا المقام لو استعرضنا جهوده السياسية والوطنية خلال تلك الفترة فقد كان لا يكتب الا بعد دراسة ولهذف ولم يكن ليكتب الا عن عقيدة ثابتة وايمان صادق وكان وهو يعمل فى الحقل الوطنى كواحد من المسؤولين عن نادى المدارس العليا يبذل كل جهده ونشاطه لخدمة القضية الوطنية التى نذر نفسه منذ البداية للعمل لخدمتها . وكان فى عمله كطالب بمدرسة الحقوق التى تمثل قيادة الشباب الوطنى نموذجا للطالب المثالى المعبر بحق عن طلاب الحقوق الذين قال فىهم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وكيف بضيع للطلاب حق وهم فى مصر طلاب الحقوق

محامى القضايا الكبرى

تخرج أمين الرافعى فى مدرسة الحقوق الخديوية فى صيف ١٩٠٩ ، وكان وهو طالب على ما ذكرنا قد انتظم فى سلك الصحافة محررا فى اللواء ، وبعد تخرجه لم يقبل التوظيف فى الحكومة على حين أن الوظائف الحكومية كانت وقتئذ تستهوى أفئدة كثيرين من الشباب كما لم يقبل العمل بالمحاماة فى وقت كانت هذه المهنة تدر الكثير من الأموال بل فضل الاستمرار فى الصحافة وكانت أولى المشاكل التى صادفته عقب تخرجه أن شقيقه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى تردى هو الآخر بعد تخرجه الاشتغال بالصحافة . ولما كان الاشتغال بالصحافة وبالصحافة الوطنية الحرة وقتئذ يعنى التضحية بالجهد وبالمال كما يعنى حياة الكفاف . فقد احتكم الاخوان الشقيقان الى والدهما فى هذا الخلاف الذى شجر بينهما لأول مرة وقرر الوالد بعد فترة من الدراسة أن يعمل أحد الشقيقين فى المحاماة ليساعد الآخر ماليا . وأن يعمل الآخر فى الصحافة ويتقبل مساعدة اخيه . واستقر الراى على أن تكون المحاماة من نصيب عبد الرحمن . وأن تكون الصحافة من نصيب أمين الذى لم يكن له مرتب فى « اللواء » ولا فى « الشعب » حتى

بعد أن صار رئيساً للتحرير بلّ كان كل الذي يتقاضاه كمحرو
أثنى عشر جنيها كبذل انتقال وكل الذي كان يأخذه كرئيس
تحرير لصحيفة « الشعب » التي كانت أكثر الجرائد المصرية
انتشارا وأقواها نفوذا كانت لسان حال الحركة الوطنية
عشرين جنيها فقط ! ولم يكن هذا المبلغ البسيط كما سبق أن
لذكرنا في مقدمة هذا الكتاب يدخل جيب أمين الرافعي بل كان
ينفقه باستمرار على زملائه المعوزين وما أكثرهم . وقد سألت
ذات يوم أستاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعي عن العلة في عدم
قبول أمين الرافعي تناول مرتب ثابت يليق بعمله ومركزه كما
كان يفعل رؤساء تحرير « الجريدة » و « المؤيد » و « المقطم »
وغيرها من الصحف الكبرى التي كانت تصدر قبل الحرب
العالمية الأولى وكانت دون صحيفة الشعب انتشارا ونفوذا
فقال لي لقد كان أمين الرافعي يرى في عمله الصحفي واجبا
بل كان يراه تضحية من التضحيات التي يجب أن يقدم عليها
المرء دون أن ينال عنها أي أجر ، ومنذ أن تخرج الرافعي في
مدرسة الحقوق راح يكتب باسمه الصريح لأول مرة « أمين
الرافعي ليسانسيه في الحقوق » وكان أول مقالاته التي حملت
اسمه سلسلة مقالات عن نظام التعليم في مدرسة الحقوق
نشرت في يونيو ويوليو ١٩٠٩ وفي هذه السلسلة كتب عن
جناية الاحتلال البريطاني على التعليم العالي في مصر وقارن
بين مدرسة الحقوق في عهدها القديم قبل أن تمتد إليها يد
الانجليز وبين مدرسة الحقوق في أيام الانجليز (١) .

وقد لفتت هذه المقالات الأنظار الى أمين الرافعي ككاتب
صادق جريء مخلص يدعم آراءه بالحجج والمستندات والوثائق
وقد توالى الأحداث السياسية الكبرى في البلاد وكان من أكبر
هذه الأحداث وأخطرها المحاولة الاستعمارية الكبرى التي أريد
بها مد امتياز قناة السويس وكان محمد فريد - زعيم الحزب

الوطني - قد حصل على مشروع المد بعد عرضه على الخديوي عباس الثاني وبطرس غالي باشا عند زيارتهما لندن .
وبدا محمد فريد وامين الرافعي ينشران المقالات العديدة ضد هذا المشروع الخطير . . كتب امين الرافعي في اكتوبر ١٩٠٩ مقالا باللواء دعا فيه الحكومة الى رفض هذا المشروع كما دعا فيه الأمة الى مقاومته بكل ما تستطيع من قوة واتسع الرافعي هذا المقال بسلسلة من المقالات المدعمة بالحجج والاحصاءات والبيانات وراح يوضح ما به من غبن للشعب كما راح يتحدث عن حيدة القناة وضرورة تحقيق هذا الحياد وعندما عطلت الحكومة اللواء انتقل بحملاته الى العلم ثم الى الاعتدال بعد تعطيل العلم وعندما عرض المشروع على الجمعية العمومية في فبراير ١٩١٠ تابع امين الرافعي مناقشات الأعضاء وبين لهم اضرار المشروع من الناحيتين السياسية والمالية وساق اليهم كل الأدلة التي تقنعهم برفض المشروع ولم يكتف بذلك بل راح يفصح مواقف الوزراء الذين كانوا يؤيدون المشروع وينقد أدلتهم الرائفة في تحبيذه .

وقد توج جهاد الوطنيين عندما رفضت الجمعية العمومية المشروع في أبريل ١٩١٠ بالاجماع فيما عدا الوزراء وكان من بينهم سعد زغلول باشا ناظر المعارف الذي كان متوليا الدفاع عن المشروع امام الجمعية العمومية . وبينما كانت الجمعية العمومية تناقش مشروع مد امتياز قناة السويس اغتال ابراهيم الورداني ناظر النظار بطرس غالي باشا لتأييده مشروع مد امتياز قناة السويس ورئاسة المحكمة المخصصة التي حاكمت المتهمين في قضية دنشواي واذا كان الورداني من شباب الحزب الوطني فقد راحت الحكومة تقبض على زعماء الحزب وقادته وفتش بيوتهم ومكاتبهم ومنزلهم وكان امين الرافعي من بين الذين حقق معهم وفتشت منازلهم ومكاتبهم، ولكن الحكومة لم تجد دليلا واحدا ضد أحد من الحزب الوطني

فيما عدا الورداني الذي اعترف بارتكاب جريمة القتل وكان
 الرافعي أثناء التحقيق مع الورداني واثناء محاكمته يعلق كل
 يوم على ما يجرى فى التحقيق والمحاكمة وقد اولهما الشعب
 كل اهتمامه ولما حاول الاستعمار البريطانى انتهاز فرصة مصرع
 بطرس غالى للايقاع بين عنصرى الأمة وعندما التقت ارادة
 الاستعمار مع ارادة الخديو عباس حلمى الذى اراد بدوره
 - كما يقول قلبنى فهمى باشا فى مذكراته وكما تقول جويدان
 هاتم حرم الخديو عباس حلمى فى مذكراتها - تسميم الآبار أمام
 السير الدون جورست المعتمد البريطانى فى مصر بايقاع الفتنة
 بين عنصرى البلاد فى أوائل عام ١٩١٠ وقف أمين الرافعى بكل
 حزم وقوة يكشف ما وراء الفتنة ، وكان الوطنيون بقيادة الحزب
 الوطنى قد قرروا عقد مؤتمر وطنى لهم بباريس فى سبتمبر ١٩١٠
 لفضح الاستعمار البريطانى فى مصر غير أن الحكومة الفرنسية
 مجاملة للحكومة البريطانية قررت عدم الموافقة على عقد المؤتمر
 ولذلك استدعى مسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية الزعيم
 محمد فريد وأخبره بقرار الحكومة ورأى فريد ورفاقه وكان من
 بينهم أمين الرافعى الاسراع بعقد المؤتمر فى أى مكان آخر بأوربا
 فأجروا اتصالات عاجلة ببعض الحكومات الاوربية ورحبت
 الحكومة البلجيكية بعقد المؤتمر فى موعده فى بروكسل وكان
 أمين الرافعى هو الذى ينشر محاضر جلسات المؤتمر ويبعث بها
 الى العلم مع المزيد من آرائه وتعليقاته والدروس التاريخية
 والوطنية التى كان يضمنها رسائله وكان الشعب المصرى يتلقف
 رسائل أمين الرافعى عن المؤتمر بحماسة ولهفة وكانت هذه
 الرسائل ترجمانا صادقا لكل كبيرة وصغيرة فى المؤتمر ويقول
 رفاق أمين الرافعى فى المؤتمر انه كان يظل عاكفا ساعات كل
 ليلة يدون رسائل المؤتمر وكثيرا ما كان هؤلاء الرفاق يشفقون
 عليه من عناء العمل ويلاحظون عليه انه كان لا يكف عن الكتابة
 حتى فى اوقات راحته ويطلبون اليه أن يعرف لنفسها حقها فى

الراحة فكان يقول لهم : « دعوني فان على مهمة يجب ان
أؤديها بصدق واخلاص » وسنعود مرة أخرى الى الحديث عن
رسائل امين الرافعى عن هذا المؤتمر الوطنى .

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : عاد امين من المؤتمر الوطنى
ببروكسل وعدنا معه وأخذنا فى العمل معا جنبا الى جنب فى
جريدة « الشعب » التى استقر القرار على ظهورها بعد انتهاء
مدة احتجاجها مرتين وبعد ان كانت سياسة الوفاق تفلق كل
يوم صحيفة . فتصدر محلها فى اليوم نفسه صحيفة أخرى
ما كانت الأمة تعرف عنها خبرا قبل صدورها ولكنها كانت واثقة
من ان صحيفة ما للحزب الوطنى ستصدر .

وتتوالى الأحداث السياسية على مصر سريعة وعنيفة :
وحدث فى نوفمبر سنة ١٩١٠ أن مر الخديو عباس حلمى الثانى
بمدينة طنطا ففوجئ بالطلبة مصطفىين على رصيف المحطة
يهتفون للدستور . وانزعجت الحكومة من هتاف الطلبة
واهتزت دوائر الاحتلال البريطانى لهذا هذه الظاهرة التى كانت
قوية وعنيفة ومنظمة فالقى القبض على أكثر من عشرين طالبا
بتهمة انتمائهم الى جمعية سرية وقد تولى الرافعى الدفاع عن
هؤلاء الطلبة واعتبر قضيتهم قضية الدستور والحرية وراح :
كما قال صادق عنبر ، يثبت براءة الطلبة ويحتج على مسلك
الحكومة حيالهم .

وفى أغسطس سنة ١٩١٠ حكم على الشيخ عبد العزيز
بجاويش رئيس تحرير جريدة الحزب الوطنى بالسجن ثلاثة
أشهر مع النفاذ فخلفه امين الرافعى فى رئاسة تحرير صحف
الحزب الوطنى ولا تقول صحيفته لأن سلطات الاحتلال كانت
تلقى بجرة قلم أى صحيفة يصدرها الحزب الوطنى ليصدر
الحزب كما سبق أن ذكر الأستاذ أحمد وفيق صحيفة أخرى فى
نفس اليوم تحت أى اسم ثم القى بالزعيم محمد فريد فى

السجن لمدة ستة أشهر بنفس التهمة التي حوكم من أجلها الشيخ عبد العزيز جاويز وهي « تحسيس كتّاب وطنيتي » للشيخ على الفاياتي وكان أمين الرافعي يوم أن قدم محمد فريد إلى المحاكمة قد كتب بتاريخ ٢٤-١-١٩١١ مقالا تحت عنوان « أنزلوا بنا ما شئتم من الشدة » وعلق في ٢٧ يناير ١٩١١ على الحكم على رئيس الحزب الوطني بالسجن فقال : ما أصدرت المحاكم في مصر حكما قابلته الأمة من كبيرها إلى صغيرها بمثل هذا الاستياء الذي قوبل به حكم أمس فان حبس الرئيس في حد ذاته لا يضبره ولا يلحق بنا شيئا من الأذى ويكفيه ويكفينا ذلك العطف الذي يقوى تياره ويضم إلى الحركة الوطنية قوى جديدة ، كما قال « جورنال دي كير » . والحق يقال اننا لو ظللنا هذه الستة أشهر نخطب بأقوى لسان ونكتب بأرهف قلم في سبيل المبادئ الوطنية لما استطعنا ان نجمع حولنا جزءا من تلك القوى الجديدة التي انضمت إلينا .

وكان اللورد كتشنر الذي جاء إلى مصر في يوليو ١٩١١ خلفا للسير الدون جورست المعتمد البريطاني قد رأى أن يحكم البلاد بيد من حديد وأن يلقي بقائد الحركة الوطنية إلى السجن مرات ومرات ليتخلص منه . وأثر محمد فريد في مارس ١٩١٢ أن يفادر البلاد لمواصلة كفاحه في أوروبا وقد تأثرت الحركة الوطنية من هجرته على النحو الذي فصلناه في كتابنا عن محمد فريد ، فتوقف إلى حد كبير إنشاء النقابات والجمعيات التعاونية ومدارس الشعب ، وأصبحت حركة التبعات القومية الثورية التي كادت تشمل البلاد جميعها ابتداء من عام ١٩١١ بالانكماش والضعف حتى قيادة الحركة الوطنية المتمثلة في اللجنة الإدارية للحزب الوطني قد أصابها الانقسام ولم تعد قادرة على الاجتماع لبحث أخطر الأمور التي مرت بالبلاد وبلغ الأمر باللجنة الإدارية أن أصبح بعض أفرادها يؤيد الاتفاق مع الخديو والبعض الآخر يعارض هذا الاتفاق إلى أن اجتمعت في

سبتمبر ١٩١٢ لبحث موضوع مقالات كان محمد فريد قد نشرها في صحيفتي « لى سيكل » « ولاكسيون » الفرنسيتين تتضمن طعنا في الخديو عباس حلمي الثاني وتكشف اتفاقا سريا تم بينه وبين انجلترا تتولى بريطانيا بمقتضاه حماية مصر وفصلها عن الدولة العلية مقابل تنصيب الخديو خليفة للمسلمين وقد أبلغ على فهمي كامل بصفته وكيلًا للحزب الوطني محمد فريد بوصفه رئيسا للحزب بخطاب مؤرخ في ١٣ سبتمبر ١٩١٢ يسأله فيه طبقا لقرار اللجنة « عما اذا كانت هذه المقالات بقلمه أم لا » ويحصره بأن اللجنة قد حددت له ثلاثة أسابيع للدفاع فيها عن نفسه طبقا للقانون الاساسي للحزب والا فانها تعتبر عدم رده امتناعا عن الاحابة وقد أحدث هذا القرار من اللجنة الادارية ثورة داخل اللجنة ذاتها وداخل الحزب ايضا .

اما داخل اللجنة فقد رأى المسالون للخديو نشر قران استنكار اللجنة للمقالات في الصحف فلما لم ينشر هذا القران استقالوا ومن بينهم على المنزلاوى ومحمود فهمي سكرتين الحزب . وفي داخل اللجنة الادارية ايضا هدد المائلون لمحمد فريد بالاستقالة اذا نشر اى شيء يتعلق باستنكار اللجنة لهذه المقالات موضع التحقيق .»

وفي داخل الحزب رأت الغالبية أن مجرد اثارة هذا الموضوع والحديث عن التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب الذى انتخبته الجمعية العمومية للحزب للرئاسة مدى الحياة يعد عملا غير قانوني وغير أخلاقي في الوقت نفسه وقد رد محمد فريد على خطاب على فهمي كامل بالاستقالة من الحزب « مراعاة لصالح الحركة الوطنية أقدم هذه الاستقالة من رئاسة الحزب وعضوية اللجنة الادارية راجيا عرضها على الجمعية العمومية المختصة دون غيرها في قبولها مع التأكيد بانى باق على مبادئ الحزب العشرة خادما لها وللوطن المحبوب الى آخر

تسمة من حياتي التي وفتتها على خدمة الوطن واهله «وبالطبع لم يجرأ على فهمي كامل ولا اللجنة الادارية على دعوة الجمعية العمومية للاجتماع لبحث استقالة محمد فريد لأن الجميع يعلمون أن الجمعية العمومية لا يمكن أن تقبل استقالة محمد فريد وهي التي اختارته منذ فترة قصيرة رئيسا للحزب مدى الحياة .

واذا كان خطاب التحقيق مع محمد فريد الذي وقع عليه فهمي كامل يحمل تاريخ ١٣ سبتمبر ١٩١٢ فان استقالة امين الرافعي من رئاسة تحرير العلم لسان حال الحزب الوطني كانت بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩١٢ فقد فوجيء الرأي العام بالعلم ينشر في صفحته الأولى مقالا يحمل عنوانه لماذا استقلت من تحرير العلم ؟ .

ويقول الرافعي في مقاله انه قدم الاستقالة وكان يرغب في الا يكتب بشأنها كلمة ما ، ولكنه وجد نفسه مدفوعا الى بيان اسباب الاستقالة لفرضين : أولا دفع ما علق بالاذهان مما لا يتفق وحقيقة الواقع . وثانيا تقرير مبدأ من مبادئ مصطفى كامل يريد فريق من اللجنة الادارية للحزب الوطني بعد أن استقال أكثر اعضائها ان يحيد عنه لغير سبب معقول . ورد الرافعي على ما ذهب اليه البعض من أنه لم يقدم على الاستقالة الا تخلصا من الظروف الحاضرة . فقال : اني لا قول لأصحاب هذا الرأي انه لو كان لمثل هذا الدافع سبيل على لاثرت البقاء في سويسرا حيثما حمل الى البرق نبا اشاعة النفي المعروفة وأظن أن هذه الكلمة كافية لدفع تلك التهمة عني وقد ذهب فريق آخر الى اننى ابيت أن اذعن لقرار اللجنة الادارية الذي يقضى بايجاد رقابة على تحرير العلم وهذا أظن لا محل له لأن الذى يطلب صباح مساء أن تكون على الحكومة رقابة من الامة لا يابى وجود رقابة على تحرير العلم من اللجنة التي تعبر عن

لسان الحزب فليست الجرائد التى تصدرها الآن ملكا لفرد يسير حسب اغراضه وانما هى لسان حال جماعة أو هيئة أو حزب فلا يمكن أن تؤدى وظيفتها حق الاداء اذا لم تكن عليها رقابة من الهيئة التى تعبر عن ميولها . ولا جرم انها اذا استبدت بها فرد أو بضعة أفراد فقدت مركزها الذى حصلت عليه بسبب تعبيرها عن افكار مجموع لا افكار فرد واحد .

ثم يقول الرافعى « اما السبب الحقيقى لاستقلالى فهو ما رأيته من ائى ساكون فى يوم ما على خلاف مع بعض أعضاء اللجنة الادارية الذين يسرون شئون الحزب الآن بعد أن علمت من أمر نزعتهم التى ترمى الى الحيدة عن مبدأ من أهم مبادئ مصطفى كامل وهو أن يكون للحزب الوطنى وجود ذاتى مستقل واذا كنت أمقت كل شقاق داخلى فقد أثرت التنحى عن تحرير العلم قبل أن يحدث ذلك الاحتكاك المسبب للخلاف ..

وفى اليوم التالى ١٧ سبتمبر تنشر « العلم » لعلى فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى كلمة تحت عنوان لماذا استقال أمين الرافعى يقول فيها : ما كان بودى أن أكتب كلمة واحدة فى هذا الشأن لولا أن المستقبل عزيز علينا .

انى ارى خطأ بينا فى الخطة التى اتبعها أمين افندى لمسيبين : الاول : انه استقال فى هذه الظروف التى ارى الوطنية المصرية فيها أحوج اليه منها فى غيرها . الثانى : انه بنى الاستقالة على سبب لا يصح أن تبنى عليه لان القلب الوطنى الكبير لا يتخلى عن العمل لوجود فرد أو أفراد يتصلون من مبدأ من مبادئ الحزب بل على العكس يتمسك بعمله أكثر من قبل ليحارب هؤلاء الخارجين ان كان ثم حقيقة خارجون لذلك الح على حضرة أمين افندى الرافعى باسم الوطن والوطنية أن يسترد استقالته هذه وأن يقدم شكواه بالوسائل المشروعة فى قانون الحزب ضد من يتهمهم بادخال الحزب فى احضان اية سلطة من السلطات والله الهادى الى اقوم سبيل .»

وفي نفس العدد الذي نشرت فيه كلمة على فهمي كتب أمين الرافعي مقالة تحت عنوان « رد على رد » قال فيها : ان لي مبدأ .

ويبقى الرافعي بعيدا عن العمل الصحفي وفي ١٩ ديسمبر ١٩١١ تصدر الحكومة قرارا بتمطيل جريدة العلم ثلاثة أشهر بحجة سلوك العلم مسلك الطعن في الحكومة مما يحمل الناس على كراهيتها لنشره مقالا بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ فيه انتقاد للاحتلال والحكومة وبدأ الرافعي يعمل في صحيفة الشعب كرئيس تحرير لها وأصبح « الشعب » بعد فترة لسان حال الشعب ونال « الشعب » المكانة التي كانت للواء أيام مصطفى كامل وظل أمين الرافعي يصدر الشعب الى ان أغلقها في ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ويمكننا ان نلخص عمل أمين الرافعي في تلك الفترة من حياته بعد ان تخرج من مدرسة الحقوق في صيف عام ١٩٠٩ الى نوفمبر ١٩١٤ عندما أغلق بمحض ارادته صحيفة الشعب فيما يلي :

* كان الرافعي يناقش احداث العام الذي مضى : اما في اخريات ايام ذلك العام ، واما في الايام الاولى من العام الجديد . وكانت مناقشاته تتسم بالصراحة وهو يقول ما للامة وما عليها فيما مر بها من احداث وكان ينتهز كل فرصة للاشادة بجهود العاملين من ابناء الشعب ويحمل بكل ما يملك من قوة على خصوم الشعب .

* وكما تعود الرافعي مناقشة احداث كل العام بصراحة وجراحة تعود كذلك مناقشة تقارير المعتمد البريطاني في مصر التي كانت تصدر عادة في منتصف كل عام وتحتوي من وجهة النظر الاستعمارية ابرز معالم احداث العام وكان من اجرا من تناول هذه التقارير وقد رد على من تساءلوا في ٣٠ مايو ١٩١٣ . « عن فائدة الكتابة في هذا الموضوع والمعتمد البريطاني سيظل نافذ الكلمة » فقال ان الكتاب الذين يتوحدون في كتابتهم تجنب

كل ما يمس الأجنبي عن البلاد ابتغاء أن يكسبوا رضاه
ويحملوا الأمة على الركون إليه إنما هم جناة .

✽ ولم يكن الرافعى يترك مناسبة من المناسبات الوطنية
« مثل ١١ يوليو تاريخ ضرب الاسكندرية » ، (١٤ سبتمبر
دخول القوات البريطانية القاهرة) الا استغلها لتعمئة الشعور
الوطنى وقد طالب فى ١٤ سبتمبر ١٩٠٩ تحت عنوان :
« الحداد الحداد .. أيتها الأمة » باعلان الحداد فى هذا
اليوم الذى وطئت فيه جنود الاحتلال ارض هذا البلد فكان
آخر عهدنا بالاستقلال ، وعندما استجاب الشعب الى دعوته
وخرجت الصحف مجللة بالسواد كتب فى ١٤ مستمر يطلب
من الأمة الا تنسى هذا اليوم . ويقول : اذكروه ولا تنسكم
الايام ما حل بكم فيه .

✽ اهتم الرافعى اهتماما خاصا بانتخابات الجمعية
التشريعية بالرغم من مقاطعة الوطنيين لهذه الانتخابات وكان من
وايه تشجيع العناصر الطيبة مهما تكن الاحزاب التى ينتمون
اليها وقد عارض فى ١٦ سبتمبر ١٩١٣ اشتراط الثروة فى
المرشحين وقال ان هذه الشروط من بقايا الانظمة القديمة التى
تفشت فى القرن الثامن عشر لانهم كانوا يعتقدون ان صاحب
الأطيان والعقار هو الذى يحرص على مصلحة بلاده وهذا اعتقاد
خاطيء لا يمكن ان يقام له وزن بعد ان تغلبت نظرية حكم
الشعب على غيرها من النظريات وحتى أصبحت هالة النظرية
امامنا للنظم الدستورية المتبعة فى اكثر البلاد . ونادى فى
٢٦ سبتمبر ١٩١٣ بانه لابد من وزارة مسئولة امام مجلس
قياىى صحيح وبعبارة صريحة واضحة تريد انتقال السلطة
الفردية الى الأمة لا الى غيرها ونفاذا لتعليم ديننا وعملابمبادئ
المدنية الحاضرة لان الأمة مصدر كل حق وكل قوة ، وطالب
باتشاء حزب للمعارضة داخل الجمعية التشريعية كما طالب
بحرية الانتخابات ووقف الرافعى الى جانب سعد زغلول فى

الانتخابات كما وقف الى جانبه فى أزمة من يرأس الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس : هل هو الوكيل المعين أم الوكيل المنتخب وكان سعد زقلول هو الوكيل المنتخب وكانت الحكومة تريد الوكيل المعين عدلى يكن باشا .

✽ ولم يكن الرافعى يهتم فقط بالمسائل السياسية بل كان يهتم أيضا بالمسائل الاجتماعية وكان يهتم بمشاكل التعليم ويكتب كثيرا عن مسائل الطلبة ومرة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ كتب مقالا تحت عنوان « بنك الكسبان الاحمر » ، تعليقاً على خطابات أرسلتها ناظرة مدرسة السنية الى اولياء أمور الطالبات لشراء « المرايل » من محل معين صاحبه انجليزى وكان مما قاله انه لا يجوز لحضرة الناظرة ان تعلن عن محل تحارى مهما كانت جنسية صاحبه بارغام تلميذاتها على شراء ملابسهن منه فان فى ذلك تعسفا لا معنى له .

✽ كان الرافعى من خيرة المعلقين العسكريين الذين ظهروا فى الصحافة المصرية فى العشرينات فكان يحرر مقالاته عن المعارك الحربية سواء فى حروب البلقان أو فى بداية الحرب العالمية الاولى فى صورة مستحدثة مدعمة بالوثائق والخرائط، وآراء الخبراء الفنيين العسكريين فى المعارك السابقة الأمر الذى جعل الراى العام يهتم اهتماما خاصا بهذه المقالات ويعجب اعجابا شديدا بسداد رايه واتقانه الفن العسكرى والمران الفنى فيه حتى ذاع صيته واكتملت شهرته كما يقول رفيقه احمد وفيق فازداد اقبال الجمهور على جريدة الشعب اقبالا عظيما لانه كما يقول صادق عنبر كان يرى فيها الحقائق التى كانت تحجبها البلاغات الرسمية وازداد عجب الراى العام بلباقته وشجاعته وسداد رايه . وقد جمع أمين الرافعى مقالاته عن الحرب فى ثمانية كراسات يعتقد انها ضرورية لكل من يؤرخ « الحرب العالمية الاولى » وكانت الصحف المعادية للحركة الوطنية تحمل عليه بسبب مقالاته عن الحرب وقد رد فى ١١.٩

أكتوبر ١٩١٤ على « المؤيد » و « الاجبشيان جازيت » قائلا
ان ما نكتبه عن الحرب لا يمليه علينا تحيز ولا ميل لفريق دون
آخر ، وانما يمليه علينا نظرنا الى الامور نظرا مستقلا وكثيرا
ما تتفق كتاباتنا وكتابات غيرنا الذين تروق خطتهم منتقدينا
وانما الفارق هو ان خصومنا ينظرون الينا بمنظار أسود ونحن
على ثقة بانهم لو نظروا الينا بالعين المجردة من كل ما يثير
الوهم الكاذب لأراحوا انفسهم وأراحونا معهم ولعلمهم فاعلون
بعد اليوم ؟

وكان آخر مقال للرافعي في « الشعب » ما كتبه بتاريخ ٢٥
نوفمبر ١٩١٤ تحت عنوان « الحرب في الميدان الشرقى » وفي
الميدان الغربى . « في البلقان » وكان هذا المقال كغيره من
مقالات الرافعي عن الحرب تغطية كاملة وشرحا مستفيضا
للحرب على جميع الجبهات في يوم ٢٤ نوفمبر ١٩١٤ ويصعد
الشعب في يومى ٢٦ ، ٢٧ نوفمبر ثم يختفى في ٢٨ نوفمبر
١٩١٤ بعد ان قرر الرافعي اغلاقه حتى لا ينتشر خبر اعلان
الحماية البريطانية على مصر وكان العدد الأخير من الشعب
يحمل رقم ٨٥٤ .

الرافعى فى السجن

كان الرافعى فى شهر مايو ١٩١٤ يستشفى كعادته من كل عام فى بعض المدن الاوربية وفوجئ باقتراب السنة الذهب من مستودع البترول الذى كانت ترقص فوقه اوربا وعندما اطلق الشاب الصربى برنسيب رصاصاته من قلب مدينة سراييفوا ، الى قلب الارشيدوق فرانسوا فرديناند ولى عهد النمسا فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ ايقن الرافعى انها الحرب واعلنت النمسا الحرب ضد الصرب وهبت روسيا لنجدة الصرب ، وانتصرت المانيا لحليفها النمسا ، ووقفت فرنسا وانجلترا الى جانب روسيا ، وكان من المؤكد الا يعود الرافعى الى مصر فما بينه وبين الاحتلال البريطانى من الخصومة والعداء يعنى انه سيصبح عند عودته نزيل السجون والمعتقلات ، ولكن الرافعى اصر على العودة الى بلاده فما يليق فى رايه بالجندى ان يبتعد عن الميدان وقت اشتداد المعارك وعاد الرافعى فى ١٢ اغسطس ١٩١٤ ليستأنف جهاده فى صحيفة « الشعب » ورات بريطانيا ان الحرب لا بد منتهية الى تحقيق حلمها القديم فى ضم مصر الى ممتلكاتها ، وقررت ان تمهلا لذلك « الضم » باعلان الاحكام العرفية وتعطيل جلسات الجمعية التشريعية . وقد انتقد الرافعى اعلان الاحكام العرفية

لأن مصر ليست مشتركة في هذه الحرب ، وانتقد تعطيل جلسات المجلس النيابي لأن الدول التي تحارب لم تعطل مجالسها النيابية إذ أن عمل المجالس النيابية في وقت الحرب أهم منه في وقت السلم . واستدعى الرافعي بعد أيام من اعلان الأحكام العرفية لمقابلة المستشار الداخلي للمعتمد البريطاني في مصر ، وتحدث المستشار طويلا عن ظروف الحرب وضرورة اعلان الحماية البريطانية على مصر كاجراء وقى وهدد الرافعي برأسه ورؤوس زملائه اذا هو انتقد ما سيحدث في مصر من انقلاب يتم في اثره اعلان الحماية كما هدد برأسه ، ورؤوس زملائه اذا حدث في البلاد أى حادث يشتم منه الثورة على الاحتلال البريطاني . وقال المستشار البريطاني في لين ونعومة : اما اذا وضحت لما سيحدث وعملت على تدعيمه فلك عندنا الخطوة ولك منا ضمان المستقبل . وثار أمين الرافعي ثورة عنيفة على المستشار البريطاني مؤكدا له ، انه سيعارض أى اجراء يحدث في البلاد على قدر استطاعته . وأكد أمين الرافعي للمستشار البريطاني في كبرياء وثقة ، انه لا يمكن أن يكون أداة خيانة لبلده ، وكانت مصر - اسما - في بداية الحرب على الجهاد الى أن دخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا فبدأت حكومة مصر ، في ٥ أغسطس ١٩١٤ تنحاز اسما وفعلا ، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد روسيا حليفة انجلترا - في أول نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلن مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر الأحكام العرفية في ١١ نوفمبر ووضع الرقابة على الصحف كما اذاع في ٥ نوفمبر بياناً قال فيه أن بريطانيا تحارب لفرضين هما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كبتها محمد على في ميدان القتال واستمران هذا القطر على التمتع باليسر والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطاني في ثلاثين سنة . ولعلم بريطانيا بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمي القطر المصري فقد أخذت بريطانيا على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب دون أن

تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، لكنها مقابل ذلك تنتظر من الاهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو اداء أى مساعده لأعدائها .

وكان واضحا منذ ذلك الوقت والخديو عباس حلمى الثانى فى تركيا انه لن يعود الى مصر ، وأن أحدا من افراد أسرته سيحل محله فى حكم البلاد . وقد نشرت صحيفة الشعب فى ١٩١٤/١١/٦ تحت عنوان البرنس حسين كامل - قالت ان حقيقة الواقع من سفر البرنس حسين كامل باشا ، بفتة بدعوة من العاصمة ووصله اليها على قطار خاص هى أن الضرورة الهامة دعت لذلك وان دولته قابل عطوفة القائمقام الخديو حسين رشدى باشا مقابلة طويلة وقابل أيضا جناب المستر شيتيهام وانه من الواضح أن أهمية عظمى تعلق على هذه المسألة ولكن جلية الأمر لم تعرف لأحد مطلقا فى هذا الموضوع » .

ونشرت الشعب فيما بعد (١٩١٤/١١/٢٢) تحت عنوان مآذبة : أقام جناب القائد لجيش الاحتلال مأذبة فى منزله لدولة الأمير حسين كامل باشا وقد حضرها جناب المستر شيتيهام القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى مصر .

وبدا واضحا ان انجلترا ستعلن الحماية على مصر ، وانها ستمنع الخديو عباس حلمى الثانى من العودة الى مصر وانها ستعين بدلا منه الأمير حسين كامل ، وكان معروفا ان قرار اعلان الحماية البريطانية على مصر ، لا بد من نشره فى الصحف عند صدوره بسبب وجود الأحكام العرفية ووجود الرقابة على الصحف . وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى وبين شقيقه عبدالرحمن الرافعى وعبدالله بك طلعت مدير الجريدة ، تم الاتفاق على اغلاق الشعب وكان الغرض من ذلك الا ينشر اعلان الحماية المشؤم والبلافات التى تستتبعها الحماية البريطانية ووقع قرار اغلاق الشعب فى وقت بلغت فيه صحيفة الشعب ذروتها فى

الانتشار والرواج والمكانة الصحفية اذ كانت اوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقها كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - ليتعرف منها انباء الحرب العالمية ويتحسس منها اتجاه الوطنية فكان ايقاف صدورها فضيحة مالية كبيرة ووصف عبد العزيز رفاعى فى كتابه ثورة مصر سنة ١٩١٩ قرار امين الرافعى بوقف اصدار جريدة الشعب بأنه اول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية . وقد صدرت الشعب فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ معلنة أنها ستحتجب من اليوم وانها ستعود الى الظهور بمشيئة الله .

وقد كان الرافعى ، وهو الذى كان اول صوت مصرى احتج على اعلان الحماية البريطانية ، من اوائل المعتقلين . وقد اودع فى البداية سجن الاستئناف بالقاهرة . ويروى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى قصة هذا الاعتقال فيقول كان اعتماالى بالمنصورة يوم ١٧ اغسطس سنة ١٩١٥ وفى نفس اليوم اعتقل لفيق من اهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية ورحلوا معتقلين الى القاهرة حيث اودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق وهناك التقيت بأخى امين الرافعى وبفوج آخر من الوطنيين اعتقلوهم عصر يوم اعتقلنا وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف ان تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لثنين من المعتقلين وقد استقبلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير لانهم عرفونا وعرفوا اسباب اعتقالنا . . وفى ٣٠ اغسطس جاءنا الفرج باطلاق سراحنا بل بنقلنا الى معتقل اعدوه لنا بدارب الجماميز فى مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك ان اعتقالنا فى سجن اعد لاستقبال المحكوم عليهم او المنتظر ان يحكم عليهم فى الجرائم فلما قوبل بالسخط والاستنكار وسمح لنا فى السجن الجديد ان نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة ما نشاء ، وان نختار كل منا زملاءه فاخترت مع أخى امين غرفة واحدة كان بابها مفتوحا فى كل وقت .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا الى معتقل آخر أعدوه لنا فى بلدة طرة بجوار ليمان طره المشهور ويبدو ان سبب نقلنا الى هذا المعتقل الجديد ان السلطة العسكرية رآته أبعد عن انظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب الجماميز وربما من أسباب هذا النقل أيضا ان معتقل درب الجماميز ضاق بمن فيه اذ زاد علينا بعض طلبية الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الاضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم .

أما احمد وفيق فيقول : علمت وأنا فى طرة ان الرافعى وسائر اخواننا قد اعتقلوا فى سراى درب الجماميز حيث نقلت الى هناك فوجدته وجميع الوطنيين لا بعض الجواسيس ، نم نقلنا الى طره وسط لمعان الحراب والسيوف داخل عربات السجن ونحن نصيح ، لتحيا الحرية ليحيا الاستقلال . وكان الرافعى هناك خير معين لنا على تفهم الحركات الحربية والمعارك الدموية وقت فراغه من عبادة الله والخلة اليه ، وقد مكث هناك الى ان اكتمل اعتقاله أحد عشر شهرا تحمل فيها الصبر على مرها وتجزع علقها فى ايمان لا يتزعزع وعميدة لا تتزلزل .

وكان ضمن مخلفات امين الرافعى اصول بعض الخطابات التى ارسلها الى حكمدار القاهرة والى حسين رشدى باشا رئيس الوزراء ، وفى هذه الخطابات يطالب الرافعى بالتحقيق معه واحالته الى أى محكمة لتفصل فى امره اذا كانت هناك تهمة ضده . . ويظهر أن الرافعى - وهذه اول مرة اعتقل فيها - كان حسن الظن بالحكام الى حد كبير . . لقد كان يلج باستمرار فى أن يعرف التهمة الموجهة اليه اذا وجدت وبلغ فى التحقيق معه . ويصرب الامثلة على ضرورة التحقيق وسهولته . لقد وقمت اخيرا جريمة شنيعة هى جريمة الاعتداء على أحد الوزراء فكانت لعانية وعشرون يوما كافية للتحقيق فيها بواسطة السلطة المدنية فالسلطة العسكرية فالمحاكمة بالتنفيذ . فهل التحقيق - كما تسأل الرافعى فى كتاب منه الى حكمدار العاصمة بعد مرور شهرين

على اعتقاله - مع البريء يتطلب زمنا اطول من الذى تقتضيه محاكمة المجرم الاثيم ! ويقول فى أحد خطباته الى رئيس مجلس الوزراء : اذا اتهم شخص بالقتل ، وهو أكبر الجرائم فان شهرا واحدا يكفى فى أغلب الاحوال لأن يسأل ويحقق معه ويحال على المحاكمة ويصدر الحكم بشأنه . . . واما ذلك الشخص البريء الذى ضمن له دولة رئيس الوزراء انه لا يصيبه اذى ما دام على رأس الوزارة والذى صرح سعادة النائب العام فى محضر التحقيق الرسمى انه لم يعمل عملا ما ضد الحكومة - هذا الشخص يترك نسيا منسيا دون ان يعرف على الأقل التهم الموجهة اليه . ان البريء يعامل أبشع من معاملة المتهم بالقتل ، اذا كان ثمة تهمة موجهة ضدى فليحقق معى ولتحيلونى على اى محكمة ترونها فاذا وقع المستحيل واصدرت المحكمة حكمها بادانتى واعتقلت بناء على حكمها فاننى اكون اقل الما مما انا عليه الآن وانا سجين بغير حكم ، ومعتقل بغير تهمة أعرفها ولمدة لا أعلمها . وقد يلام الرافعى على اسرافه فى المطالبة بالافراج وفى ثقته فى عدالة الحكومة المتواطئة مع الاحتلال . ذلك الاحتلال الذى كان الرافعى اول من احتج عليه واغلق صحيفته حتى لا ينشر قراره باعلان حمايته على مصر . ولكن يظهر من خلال خطابات الرافعى الى رشدى باشا وحكمदार العاصمة ان المعتقلين كانوا يعاملون اسوا معاملة ، فالحياة فى نظرهم أصبحت لا تطاق بأى حال ، فالجو ردىء والرياح تحمل اليهم من الاتربة ما يتلف العيون ، والماء لا يصلح لشيء من ضرورات الحياة ، والروائح الكريهة تنبعث من المراحيض الموضوعة على طريقة تخالف القواعد الصحية ، وفوق هذا فان الليل لا يكاد يرخى سدوله حتى يصبحوا فى ظلام حالك فاذا ارادوا مغادرة الخيمة الى الخارج او الى خيمة أخرى عثرت اقدامهم فى حبالها او اوتادها . وقصارى القول ان صحتهم أصبحت مهددة بخطر كبير اذا طال اعتقالهم فى طرة اكثر مما فات .

وبعد ان بقى الرافعى وشقيقه عبد الرحمن فى طسرة الى فبراير ١٩١٦ نقلا الى معتقل آخر بالجيزة فى مبنى سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الاسود .

ويقول عبد الرحمن الرافعى أنهم مكثوا فى هذا السجن الى أن أفرج عنهم يوم ١٧ يونيو سنة ١٩١٦ « أى مكثنا معتقلين عشرة أشهر وكان الإفراج عنى مع أخى أمين بك وعبد الله بك طلعت فى يوم واحد . وقد ذهبوا بنا نحن الثلاثة الى الاسكندرية حيث أعدوا لنا عدة زيارات اقترنت باطلاق سراحنا فقابلنا حسين رشدى باشا رئيس الوزارة فى منزله بالرميل بمحطة كارلتون (محطة رشدى باشا) ثم ذهبنا الى سراى راس التين ، حيث قابلنا المففور له السلطان حسين وقد استقبلنا بعطف وحفاوة والتفت فى ختام حديثه معنا الى أخى أمين وقال له : طلع الغازية يا أمين بك ووعدته بالمساعدة المالية لاصدار الغازية (الغازية يعنى الصحيفة) على أن امينا رحمه الله لم يفكر فى اعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب .

وبعد خروج أمين من الاعتقال اشتغل عاما بالمحاماة ، ولكنه وجد نفسه بحاجة ماسة الى الراحة من آلام الاعتقال . وفى فترة الحرب بذلت محاولات عديدة معه لاصدار صحيفة الشعب من جديد فلما رفض رفضا باتا ، بذلت محاولات عديدة مع عبد الله بك طلعت ، أحد اصحاب الامتياز ونشرت الأهرام كنسوع من الضغط - فى ٢٠ يوليو ١٩١٨ تحت عنوان طلب تجديد الشعب « اتصل بنا ان عبد الله طلعت بك والذين كانوا يصدرون معه جريدة الشعب المعروفة التمسوا منذ يومين من وزارة الداخلية ان تأذن لهم فى تجديد نشر الشعب » . وفى ٢١ يوليو نشرت الأهرام « ابلغنا حضرة الكاتب الفاضل أمين بك الرافعى أنه لا ينوى العودة الى الاشتغال بالصحافة . وانه عازم على الانتطاع الى المحاماة فنتمنى لحضرته النجاح » . وفى ٢٢ يوليو نشرت الأهرام - ولكن على لسان عبد الله بك طلعت - أنه لم يقدم

طلبا الى وزارة الداخلية ولكن صاحب امتيازها محمود عثمان أفندى هو الذى قدم ذلك الطلب وحده متعردا . وعاد الاهرام الى الموضوع بعد ذلك فنشر بياننا لمحمود أفندى عثمان يكذب فيه ما قاله عبد الله طلعت من انه طلب الى الداخلية الاذن له باصدار الشعب . . وأكد انه ليس له حق طلب تجديد نشر الشعب اذ لا علاقة له به كما بدلت محاولات عديدة لاجراج امين الرافعى من مصر لاصدار الشعب فى الخارج . وقد جاء الحديث عن هذه المحاولة فى المذكرات الخطية للزعيم الوطنى محمد فريد ، وسوف يعود الى الحديث عنها فيما بعد عند تحليلنا لشخصية امين الرافعى .

على ان الرافعى ، وان انتقطع عن العمل بالصحافة تماما ولم يعد يعمل بالمحاماة بعد الافراج عنه قليلا او كثيرا ، الا انه شغل وقته بالدراسة والبحث ، وكتابة بعض المذكرات السياسية التى تعهم الراى العام فى مصر كما تهم الراى العام فى الخارج ، فقد كان الرافعى على ثقة تامة بأن الحرب العالمية الأولى لن تطول اكثر مما طالت وان الالمان وحلفاءهم قد انهكتهم الحرب ولا بد لهم من الاستسلام ، ولهذا فقد انفق الرافعى ، كل وقته وجهده لوضع مذكرات مستفيضة عن القضية المصرية تصلح لما بعد الحرب ، ولم يكتب الرافعى بكتابة هذه المذكرات باللغة العربية بل ترجمها الى اللغة الفرنسية واعدها حتى قبل أن تعلن الهدنة كما اشترك الرافعى فى عديد من الاجتماعات السياسية التى تمت فى صيف عام ١٩١٨ ، والتى كانت تبحث مصير مصر بعد الحرب العالمية الأولى .»

من جنود ثورة ١٩١٩

لى رأى خاص - قد لا نوافقنى عليه كثيرون - هو أن ثورة ١٩١٩ تاحرت فى الحقيقه عن موعدها سح سوات . وأن الشعب المصرى بمنظوماته السرية والعلنية كان قد بدأ يستعد للثورة المسلحة وأن بواذر هذا ظهرت فى أعمال الفدائيين المصريين ، ولكن الثورة تأخرت مرتين مرة بسبب نعى محمد فريد من مصر وانشقاق القيادة عقب سفره ومرة ثانية بقيام الحرب العالمية الاولى . يؤكد هذا أن مقاومة الاحتلال البريطانى لم تتوقف خلال أيام الحرب رغم اعتقال القيادات الوطنية ورغم اتخاذ أعنف الاجراءات الاستبدادية من قبل سلطات الاحتلال . لقد عبر الشعب المصرى فى أكثر من مكان وفى أكثر من موقعة عن غضبه لاعلان الحماية على مصر ولتعيين حسين كامل سلطانا ، فمن مظاهرات شعبية عارمة استولى فيها المتظاهرون على بعض المخازن ومحال البقالة واتجه فيها بعضهم وكانوا من الطوائف الذين جمعتهم سلطات الاحتلال قهرا وظلما الى سراى عابدين وأصيب عدد كبير منهم بجروح بالقة ومن نفى لبعض القيادات النسائية كنعمت هاتم حرم حجازى بك وحرم عبد الباقي العمري لانتقادهن المستمر لسلطات الاحتلال ومن انطلق العديد من الجمعيات السرية ومحاولات التخلص من السلطان حسين ومن

بعض وزرائه الذين مالوا المحتل القاصب ، وقبر ذلك من مظاهر الغضب الشعبى الذى انفجر غداة اعلان الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٩ . لقد ذهب ثلاثة من زعماء البلاد هم سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شسعرأوى - فى ١٣ نوفمبر ١٩١٩ ، للمعتمد البريطانى فى مصر سير ونجت للحديث معه فى مطالب البلاد ، أما أمين الرافعى فقد لجأ للتعبير عن رأيه حيال الاحتلال البريطانى الى طريقة أخرى غير طريقة مقابلة المعتمد البريطانى . لقد اعد فى منتصف نوفمبر ١٩١٩ مذكرة سياسية عن القضية المصرية طبعها بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية وارسلها الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر لابلاغها الى رؤساء دولهم وللرئيس الأمريكى وبلسون وغيره من رؤساء الدول المشتركة فى مؤتمر الصلح ، ونشر الرافعى هذه المذكرة باللغة العربية فى مصر وحرص على أن تكون بين أيدي المشتغلين بالقضية الوطنية والشباب باعتبارها مرجعا هاما من مراجع القضية المصرية ، وهذه المذكرة كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أول مذكرة سياسية وضعت بشأن القضية المصرية عقب الهدنة وكانت من الوثائق الهامة التى وجهت الأنظار فى ذلك الحين الى التمسك بالأهداف الوطنية وكان لها تأثيرها فى تنوير الأذهان وتبصير الراى العام بحقائق قضية البلاد » .

وليس هنا فى رأى - مجال الحديث عن ثورة ١٩٩١ . وكل ما نستطيع قوله ان الهدنة قد أعلنت وكل قيادات الحركة الوطنية التى حمل لواءها مصطفى كامل ومحمد فريد أما فى السجون أو فى المعتقلات أو فى المنفى . وقد كان غياب محمد فريد عن مصر اثناء اعلان الهدنة ، سببا فى ظهور قيادات جديدة غريبة عن مجال النضال القومى ، كرجال حزب الامة ، الذين كانوا يتعمون طوال مدة الحرب ، بصدافة المحتل البريطانى ، لقد وجد بالاضافة الى بعض العناصر التى ظهرت فى الجمعية التشريعية أن الفرصة مواتية لامتطاء موجة الغضب الشعبى ، وقد سهل لهم هذه المهمة

الجديدة اختفاء القيادات الوطنية كما سبق أن قلنا وظهروا
خلافاً واختلافات حادة وعنيفة فيما بقى من قيادات الحزب
الوطنى ذاتها ووجود حناح يؤيد الوفد المصرى فى بداية تشكيله
يراسه امين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ، ووجود جناح آخر
يعارض زعامة سعد ورغم كونه هو الجناح الأقوى الا انه لم يستطع
الوقوف امام القوة الجديدة التى تمثلت فى سعد زغلول .

وكسب الوفد معركته الأولى ضد الحزب الوطنى أو ضداً
قلوله كما كان يسميهم أنصار سعد ، وضم الوفد - الى عضويته
- من تلقاء نفسه ودون استشارة أحد من أعضاء الحزب الوطنى
مصطفى النحاس وحافظ عفيفى باعتبارهما يمثلان مبادئ الحزب
الوطنى وكان رأى امين الرافعى فى هذه الفترة ان يفسح المجال
امام كل من يريد خدمة بلاده وان يعقد الوية الزعامة لمن شاء
العمل باخلاص ، وكان سعد زغلول يعرف حق المعرفة ان
شخصية امين الرافعى من وجهة النظر الشعبية اهم واضخم من
كثير من الشخصيات التى اختيرت لعضوية الوفد رغم كل ذلك
لم يضم سعد زغلول « امين الرافعى » لعضوية الوفد اذ كان سعد
يعرف امينا حق المعرفة ويعرف عنفه وثورته وقوة تمسكه بالمبدأ
الوطنى لذلك رفض ان يضمه الى عضوية الوفد حتى لا يكون ثمة
انشقاق خطير فى الوفد بين القوى الثورية والقوى المعتدلة فليس
الخطر على القيادة الجديدة انقسامها الى معتدلين ومعتدلين وانما
الخطر كل الخطر انقسامها الى معتدلين ونوريين ويبدأ الوفد
عمله بارسال المذكرات .

وفى ٩ مارس ١٩١٩ انفجرت براكين الثورة .. لم يفجرها
الوفد ، لم تفجرها سراى عابدين .. لم يفجرها المعتدلون أو
المتطرفون من القيادة وانما فجرها الشعب من تلقاء نفسه وكان
هو القائد وكان هو المعلم وكان هو المنظم فى الوقت نفسه ، لم
تكن ثورة برجوازية ولا ثورة للمتفعين ولا ثورة للمعتدلين وانما
كانت ثورة الشعب كله وعندما نفى سعد زغلول ورفاقه كانت

اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة وكان أمين الرافعي سكرتيرها
المساعد محور النشاط الثوري .

ويقول الأستاذ صادق عنبر عن دور أمين الرافعي في هذه
اللجنة - بقى أمين ندير دفة الحركة الوطنية في لجنة الوفد
المركزية التي كان روحها وقوامها فكان يحرق قراراتها ونداءاتها
ويدير حركاتها لمصلحة القضية الوطنية باخلاص وبزاهة وهو
الذي كتب المقالات الشهيرة « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا »
باسم احد اعضاء الوفد سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فحدثت تأثيرا
كبيراً في الرأي العام ، وهو اول من دعا الى مقاطعة لجنة ملنوف
في انحاء القطر المصري ووافق الوفد على فكرته فكانت هذه
الحركة موضع اعجاب العالم بما اظهرته الامة من الاتحاد
وتماسك الصفوف وصدق النظر ، واستأنف جهاده في الصحافة
باصدار جريدة الاخبار فنالت من المكانة لدى الجمهور ما كان
للشعب والعلم والواء من قبل .

ويقول الأستاذ احمد وفيق : ما كان أمين الرافعي في اثناء
وجود الوفد في الخارج الا محور اللجنة المركزية ومديراً لدفعتها
وقائدها الاعلى الى امام ودائماً الى الامام في سبيل التمسك
بالحق الكامل لمصر . وهذا محضر من محاضر جلسات اللجنة
المركزية للوفد . هي جلسة ٢٥ اغسطس ١٩١٩ .

افتتحت الجلسة الساعة السادسة تحت رئاسة صاحب
السعادة محمود سليمان باشا وعضوية اصحاب السعادة والعزة
ابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا وحسين بك هلال
وراقب بك عطية وكامل بك بطرس ومرقص بك حنا وعلى بك
المنزلاوى واحمد بك الشيخ وعلاوى بك الجزار ومحمد عز العرب
بك وعلى بك محمود وحسين بك عبد القفار وسالم بك السيل
وصاروفيم بك مينا وعلى بك اسماعيل والسيد حسين القصي
وتوفيق بك دوس وعبد الرحمن بك فهمى وامين الرافعي فحلف
الامين الاعضاء الذين لم يسبق لهم حضور الجلسات ثم حضر

حضرة محبوب بك ثابت ، وبعد المناقشة في مسألة الاكتتاب
تقرر انتداب لجنة من حضرات محبوب بك ثابت وحسن بك هلال
لوضع تقرير عن ذلك . ثم عرض على اللجنة بعد ذلك نتيجة
المفاوضات التي دارت بينها وبين اسماعيل صدقي باشا ومحمود
بك أبو النصر العضوين المنفصلين عن الوفد في جلسات سابقة
وهذه النتيجة تنحصر في أن هذين العضوين المنفصلين عرضا على
اللجنة أن تتوسط لدى الوفد ليعيد النظر في قرار فصلهما بناء
على كتاب يعترفان فيه باحترامهما لمبدأ الوفد وخطته وقراراته
وقد ادخلت اللجنة ما رآته من التعديلات على هذا الكتاب نقلا
ذلك وأصبح الجواب بالنص الوارد في آخر المحضر وقد تلى
على الأعضاء . والذي تقرا جلسات محاضر اللجنة المركزية يلاحظ
ورود اسم أمين الرافعي في آخر الاسماء وذلك لأنه كان يتولى
سكرتارية الجلسات وكتابة المحاضر والبيانات . ويذكر الصحفيون
الأجانب الذين زاروا مصر في بداية ثورة ١٩١٩ أنهم كانوا يلقون
كل معاونة من أمين الرافعي بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة
الوفد المركزية ويذكر مستر لاري ود بالذات وهو أحد المراسلين
الأمريكيين ضمن ما يذكره عن معاونة أمين الرافعي للصحفيين
الأجانب وكيف أنه قدم إليه عددا من الأسئلة الهامة ليجيب عنها
بصراحة تامة وقد تم نشر الأسئلة والأجوبة في صحيفة شيكاغو
تريبون الأمريكية .

وتحاول بريطانيا القضاء على الثورة الشعبية ويصدر أمين
الرافعي جريدة الأخبار لتكون لسان صدق للحركة الوطنية .

صحيفة الحق والمستولية

حمل صباح اليوم الثانى والعشرين من شهر فبراير ١٩٢٠ الى قراء اللغة العربية فى مصر والعالم العربى اول عدد من صحيفة « الاخبار » التى أصدرتها شركة الصحافة الوطنية وهى شركة توصية بالاسهم رأس مالها عشرة آلاف جنيهه ، وكان أمين الرافعى الشريك الموصى فيها وكانت الشركة برئاسة فؤاد سلطان بك وكيل بنك مصر فيما بعد . وكان قد أصدر الاخبار فى البداية الشيخ يوسف الخازن من كبار الأدباء اللبنانيين ، وعندما عاد الى بلاده تنازل عن رخصة الجريدة للاستاذ عبد الحميد حمدى صاحب جريدة « السفور » الذى أصدر الاخبار فى اخريات عام ١٩١٨ بالاشتراك مع الاستاذ حسن الشيخه المدرس وقتئذ بمجلس مديرية الغربية ، ثم آل الاسم الى شركة الصحافة الوطنية . وفى أول عدد من الاخبار كتب أمين الرافعى عن احتجاج الشعب منذ خمسة أعوام كأول مظهر من مظاهر الاحتجاج الصامت على اعلان الحماية ، ثم تحدث عن قيام البلاد بالمطالبة بحق وادى النيل فى الحرية وعن استئناف جهادها الشريف ، ومما قاله الرافعى : كما كان الجهاد فرضا على كل أبناء الوطن فقد أخذنا على أنفسنا ان نستأنف حياتنا الصحفية على ان تكون جميع مجهوداتنا وقفا على خدمة القضية الوطنية .

وفي مجموعة الوثائق الخاصة بثورة سنة ١٩١٩ والتي نشرها وعلق عليها دكتور محمد أنيس اشارات عديدة الى امين الرافعي وجريدة الاخبار : في التقرير رقم ١٠ الذي كتبه سعد زغلول من باريس بتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ جاء ما يلي : سررنا ان اصدر حضرة امين بك الرافعي جريدة الاخبار التي نرجو لها التوفيق والنجاح بهمة البك الموما اليه وحسن درايته الى امل قوى في ان تؤثر هذه الجريدة في الجمهور اثرا محمودا وان يقضى بها على الاضاليل التي بثها المهوسون في العقول والاوهام التي يوسوسون بها في الصدور وان تكون خيرا للغاية الشريفة التي سعى اليها (١٨ ابريل ١٩٢٠) ويقول سعد في خطابه الى عبد الرحمن فهمي : « اذا كنت ترى في ترتيب حملة خطابية الى جانب الحملة الصحافية فانت حر في اختيار الوسائل التي تؤدي الى هذا الغرض وفي هذا المعنى تكتب بالطبع كل جريدة حسب مشربها وارجو ان تكون جريدة الاخبار في مقدمتها وان تكون هي اول من يقود الراي العام لانها معتبرة جريدة الوفا المعبرة عن افكاره وخططه وقلم محررها الفاضل اقدر الأقلام على التعبير عن هذه المقاصد فعليك ان تهز همته وان تبلغه باننا ننتظر من وطنية وحسن تفديره لمنفعة القضية ان يخصص كل يوم مفالة في هذا الموضوع وليس ذلك على كفاءته بكثير » . وفي الخطاب الذي ارسله سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمي بتاريخ ٧ مايو وردت الحاشية التالية : قرأت في جريدة الاخبار جملة يدافع فيها حضرة امين بك الرافعي بقلمه اللين عن الوفد واعماله وبخطيء الخارجين عليه والناقدين لخطته فارحت لنفاذا لانها منه الاولى من نوعها وارجو ان يستمر حضرة الكاتب الموما اليه فيما ابتداه لانه لا ينبغي ان يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة مثله ولا يحكمون الدفاع مثل احكامه وينبغي ان لا يتروكوا الراي العام يطيش مع الطائشين او

يخمد مع الفاترين وان تسلكوا آية الوسط من السيلين والا
ولى التوفيق .

وتنشر الاخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ برقية من سعد زغلول
بقول : « الزاعى بك مدير الاخبار بالقاهرة أن مقالاتكم عن حطة
الوفد تستوجب موافقتى وهى جديرة بكل انواع المديح
فاشكركم : سعد زغلول » . ويقول الرافعى معلقا : والاخبار لا
يسمها الا ان تشكر للرئيس الجليل حسن ظنه بها ، وهى لم
تكتب ما كتبه الا معبرة عما تعتقده متفقا كل الاتفاق مع شعور
الامة ، واذا كانت قد ابدت خطة الوفد الأخيرة فلا شك انها لم تفعل
موى ان وضعت نفسها موضع المترجم عن صوت الشعب » .
وكانت الاخبار تصدر فى أربع صفحات خالية من الصور ومن
الاعلانات الا فى حالات نادرة ، وفى الصفحتين الثالثة والرابعة
كانت الصحيفة تهتم اهتماما خاصا باخبار الوفد ، وتنشرها تحت
عنوان التلغرافات الخصوصية ، وكان مقال الرافعى الذى يحمل
اسمه ينشر فى الصفحة الثالثة تحت عنوان الحالة السياسية
اليوم ، اما المقالات الأخرى التى لم تكن تحمل اسمه فقد كانت
تنشر فى أى مكان من الجريدة ، وكانت الاخبار تهتم اهتماما
خاصا بانباء البلدان العربية كما تهتم بابرار ونخبها النظر
الانجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرها تقلا عن صحف تلك
البلاد . . وتصف جريدة كوكب الشرق صحيفة الاخبار فتقول :
لما تألف الوفد المصرى كان امين بك الرافعى أول من بايع الزعيم
الجليل وبقيت جريدة الاخبار لسان حال الوفد الشبيه بالرسمى
وبلغت مقطوعة الاخبار اليومية اعظم عدد استطاعت ان تخرجه
وتوزعه صحيفة فى مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية فى
مصر يتسابقون الى ادارة الاخبار عليهم يظفرون بخبر أو تعليق
او رأى من الزعيم الصحفى فى ذلك الحين يبرقونه الى
صحفهم .

اهتمت الاخبار بالوفد واخباره وتتبع نشاط رئيسه واحاديثه وركز الرافعى على ان الوفد هو الأمة ، وان المسألة لم تعد مسألة احزاب ، او شيع وانما هى مسألة امة بأسرها . كما راحت تناقش الأحزاب المعارضة للوفد حسابا عسيرا ، داعية الجميع الى الاتحاد فالسبيل الى نجاح القضية المصرية كما يقول الرافعى هو الاحتفاظ بالوحدة ، الاحتفاظ بالأمل ، الاحتفاظ بالمبادئ الوطنية . واهتمت الاخبار - أو بمعنى أدق اهتم الرافعى فى الاخبار - بلجنة ملنر ومفاوضات لجنة ملنر والمشروع الذى قدمته اللجنة ، وراحت تناقشه مناقشة موضوعية وتدعو الشعب الى ابداء رأيه فيه ثم راحت تستكتب الشخصيات البارزة كحسين رشدى وعبد الخالق ثروت وعبد الرحمن الرافعى عن آرائهم فى المشروع ، بأربع مقالات متكاملة تعتبر مرجعا سياسيا ، لهذا المشروع الذى كان له أثره فى تطور الأحداث السياسية فى مصر ، وتتبع الاخبار ما تقوله الصحف البريطانية عن القضية المصرية وراحت تناقش هذه الصحف وترد عليها كما راحت تتابع مناقشات مجلس العموم البريطانى .

ويكتب الرافعى فى الاخبار دراسات وافية عن المفاوضات ينشرها فى كتاب مستقل ، كما يكتب دراسات عن السياسة الانجليزية حيال مصر ، ويكتب أيضا عن سياسة التهديد بعد سياسة الخداع وعن « تقوية الاتحاد » وعن بعثة « سوان » التى تكونت من بعض أعضاء البرلمان البريطانى من حزب العمال الذين استضافهم سعد زغلول لزيارة مصر أملا فى أن يتحولوا عن مبدئهم فلم تزددهم الزيارة الا عداوة للقضية المصرية ، وقد فضح الرافعى ، سياسة حزب العمال البريطانى قبل أن تجيء البعثة وفى اثناء وجودها فى مصر كما كتب عن مبدأ الضمانات وخطره على الاستقلال « والى متى تصادر الحريات » ، ثم يختلف الرافعى مع الوفد المصرى حول تعديل اساس المفاوضات بين مصر وبريطانيا على النحو الذى سنفصله عند الحديث عن العلاقة

بين سعد زغلول وأمين الرافعي ، ثم تعود المياه الى مجاريها بعد نفي سعد زغلول للمرة الثانية ، ثم يعود الخلاف مرة أخرى ويشند الخلاف وتتعنف الحرب بين الوفد والأخبار ثم تهدأ الحرب وتوشك المياه أن تعود الى مجاريها .

وتقع الأخبار في أزمة مالية عنيفة يسمع بها سعد فيبادن الى عرض مساعدته على أمين الرافعي ، ويرد الرافعي على هذا العرض في رسالة (سبتمبر ١٩٢٣) يقول فيها : وقع من نفسي احسن واعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقرضى مبلغا كبيرا من المال اعالج به الأزمة التي تجتازها الأخبار الآن على أن اردّه عندما تتحسن حالة الجريدة ، واني لعاجز كل عجز عن أداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التي وفقتكم الى ذلك وارجو أن يكون اعترافي بالقصور خير معبر عما تكنه نفسي نحوكم ونحو عملكم النبيل ، ولكن وأنا واقف على حالة الأخبار الآن أرى أن هذه الحالة لا تحتمل علاجا فقد دخل المريض دور النزع وحرام اقراضى مالا ليس هناك أمل في رده . فليقف مجهودى الضعيف عند السهر على هذا المريض حتى يسلم النفس الأخير اذا قضت بذلك مشيئة الله . وفي الختام أكرر لمعاليكم شكري واعترافي بجميل ما أظهرتموه من جميل العواطف التي لن أنساها ما حييت .

وعن قصة ادماج اللواء والأخبار يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي في مذكراته المخطوطة والموجودة لدينا « من المسائل التي بذلت فيها جهودا كبيرة وعانيت فيها متاعب شديدة اتحاد الأخبار واللواء واسناد رئاسة تحرير جريدة الحزب الوطنى الى أخى أمين ، وانى اعتبر نفسي صاحب الفضل الأكبر في تحقيق هذا الاتحاد ولولاى لما تم ولقد ساعد في ذلك كثير من اخوانى اعضاء الحزب الوطنى مثل عبد الحميد بك سعيد وزكى بك على وفؤاد بك حمدى ، وبذلك أنقذنا الحزب الوطنى

وجريدته وجريدة الأخبار من خطر الزوال ، فقد كانت حالة الأخبار المالية سيئة جدا لكثرة ديونها ونفقاتها وقلة إيراداتها . وكثيرا ما فكرت مع اخى امين فى طريقة لايفاقها لا تكون منافسة للكرامة وكذلك كانت حالة اللواء المالية ، وكان اعضاء الحرب يفكرون كذلك فى طريقة للتخلص منها ، ولا شك ان ايقاف اللواء هو كارثة على الحزب الوطنى لا يمكنه بعدها أن يرفع راسه ، وايقاف الأخبار كارثة على الصحافة النزيهة وضربة كبرى لمركز امين فى السياسة والصحافة ، فالمركز كان حرجا وقد مكنتنا بتوفيق الله أن نضم الجريدتين باسم واحد « اللواء والأخبار » وبذلك استراح امين من عناء المسئوليات الهائلة التى كان ينوء فى ادارة الأخبار ومن جهة أخرى كسب الحزب الوطنى مكسبا كبيرا باسناد رئاسة تحرير صحيفته الرسمية الى صحافى قدير محترم والحق أن الجريدة الجديدة (اللواء المصرى والأخبار) صارت من أرقى الجرائد مادة وسياسة ، وكانت تصدر فى ست صفحات فكان هذا العمل خدمة كبرى أدبتها بمساعدة الاخوان لأخى ولحزبى ، لكن حالة الجريدة الجديدة المالية كانت سيئة فان مصروفاتها كانت كثيرة وإيراداتها قليلة فان القراء لم يقبلوا عليها الاقبال الذى كنا ننتظره والحق ان الحالة المزربة التى وصلت اليها البلاد قد اضرت بالصحافة كثيرا لأن كل قارئ كان يتعصب لجريدة حزيه فلا يقرأ سواها الا فى الصحف الاخبارية كالأهرام والمقطم ، وبذلك شعرنا بالعجز الكبير فى الإيرادات واضطررنا الى الصرف من رأس المال الضئيل الذى أمكننا تدبيره للعمل المشترك واستمر العجز فى الثلاثة الأشهر الأولى ، وعادت من جديد فكرة ايقاف الجريدة الجديدة ، وطرقنا ابوابا كثيرة نستمد منها المدد فالفيناها موصدة وكان ظهور الجريدتين بالشكل الجديد مظهرا لضعف الحزب الوطنى من الوجهة المالية وارتباك حالته وتزعزع مركزه وهذا الارتباك له تأثير فى حالة الناس المعنوية فان الأحزاب السياسية

تستفيد وتُخسر تبعاً لمظاهرها أمام الجمهور . ولكننا لم نتراجع أمام هذه الحالة لأننا كنا نفخر بأن حزبنا لا يمد يده إلى أي هيئة ليكسب ويترى ولو كان متساهلاً في مبادئه لاستطاع أن يصل إلى الفنى باتفاقه مع الحكومة أو مع أحزابها ، ولكنه فضل أن يحتل غصاة الفجر والعوز دفاعاً عن مبادئه الوطنية وإن الحزب الوطنى يحق له أن يعجز بأنه يعيش برجالة ومبادئه وأنه يعمل غير منتظر اجرا ولا شكورا لأن الحزب الذى يسد على نفسه طريق الحكم فهو حزب بلغ أقصى درجات التضحية وانكار الذات ولقد كان فى استطاعة أمين أن يستريح من عناء العمل الصحفى المضنى الذى احتمله بالصبر سنوات عديدة وإن يتبدل راحة وغنى ، لو أنه رضى أن يسخر قلمه لخدمة حزب من الأحزاب الحكومية ، وقد سمع السراى فى أن تستخدمه وتفصله عن خطته الوطنية وعن الحزب الوطنى ، ولو قبل لتفتحت أمامه أبواب الثروة والجاه ولكن حمداً لله فإن هذه المساعي قد اصطدمت بوطنيته وصدق إيمانه وتوكله على الله ، هذا وقد بدأ اندماج اللواء والأخبار فى ١ مايو سنة ١٩٢٥ واستمر حتى العدد الصادر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ وعاد لكل من الجريدتين الوطنيتين استقلاله عن الأخرى .

وتستمر الأخبار فى الصدور إلى أن يضطر الرافعى إلى إغلاقها فى فبراير ١٩٢٦ عقب الأزمة النفسية التى صادفته إثر اجتماع المؤتمر الوطنى الذى كان قد دعا إليه لأن المؤتمر لم يخلأ برأيه فى عدم إجراء انتخابات جديدة واعتبار مجلس النواب المنحل هو المجلس القانونى الذى يجب أن يستمر فى عمله ثم تعود الأخبار إلى الصدور من جديد فى ١٢ مارس ١٩٢٧ .

وليس فى الإمكان الإشارة إلى كل المقالات التى كتبها الرافعى فى « الأخبار » فهى من الكثرة بحيث يصعب الإشارة حتى إلى عناوينها فقد كان الرافعى يكتب باستمرار مقالة كل يوم ، وفى بعض الأيام كان يكتب أكثر من مقالة كذلك كان يكتب دراسات

معتمدة على البحث والجهد الشاق كما كتب مثلا تسع مقالات
مرير ملتر وسبعا وعشرين مقالة عن مفاوضات الانجليز بشأن
الة المصرية وكذلك فيما يتعلق بالدستور وتصريح ٢٨ فبراير
ر شهر سبتمبر وما جره على البلاد من النكبات ، وقد عارض أمين
الرافعى بالحق كل الوزارات التى توالى على الحكم منذ ١٩٢٥
الى ١٩٢٧ كما ايد بالحق ايضا كل عمل جاد وجيد اقدمت عليه
اية وزارة من تلك الوزارات ، وكمبدأ عام كان الرافعى يؤيد
الوزارة عندما تكون فى خلاف مع الاحتلال البريطانى ،
وللرافعى دستور صحفى التزم به دائما وهذا الدستور يتلخص
فيما يلى :

ان كل من له مبدأ يريد أن يدود عنه ومن كان يبغى العمل فى
ميدان النضال والجهاد يجب عليه « يوطن نفسه على تحمل
المشاق والمتاعب لأن رجال المبادئ وعشاق النضال لا يجدون
فى طريقهم وردا يلقي عليهم وانما يصادفون شوكا ويلاقون عناء
وعنتا . ان للحياة طريقين أحدهما تسوده الراحة المادية والاخر
تحفه المكاره والمتاعب ولكن تلك الراحة المادية التى يصادفها من
يختار الطريق الأول لا تكون عادة مصحوبة بالراحة المعنوية فان
من يؤثر الراحة المادية يرى نفسه فى كثير من الأحيان مفرطا فى
واجبه نحو ضميره ونحو وطنه ، ونحو اخوانه ونحو حالقه ، اما
الذى يريد أن يؤدى واجبه نحو ضميره ونحو اخوانه ونحو
وطنه ونحو حالقه فيجب عليه ان يجد ويشقى ويتعب ويتألم
وهو بهذا يفقد فى العادة الراحة المادية ولكنه يستعوض عنها
ما هو اغلى قيمة واعز اثرا الا وهى الراحة المعنوية وراحة الضمير
الخالص الذى لا يجد فى هذه الحياة ما يحمل على الوخو
والتائب وغنى عن البيان أن وخر الضمير أثقل على النفس من
اى ألم مادى مهما كان شديدا لأن فى استطاعة الانسان أن يتحمل
الآلام المادية ويعتاد عليها أما تبكيت الضمير فانه يورث ألما لا يمكن
احتماله بل انه ينقص عيش الأبدى تنغيصا قد يفضل المرء معه

الموت على هذه الحياة بجميع ملذاتها ، واذا تركنا هذه المعنويات ونظرنا الى الصحافة من حيث هي فن أو مهنة وجدنا انه بجانب الصحف التى تخصص أكثر أعمدها لنقل حوادث العالم ولا تعنى بغير ذلك يجب أن تكون هناك صحف تقف أعمدها لخدمة المبدأ فى ذاته ٢٠ .

✽ العقيدة السياسية للمرء تشبه العقيدة الدينية فى كثير من الوجوه وأهم أوجه الشبه أن صاحب العقيدة الثابتة فى كلتا الحالتين يلقى صنوف المتاعب فى سبيل التمسك بعقيدته والاحتفاظ بها وعدم مخالفة تعاليمها الصحيحة ، كلما ضعف شأن العقيدة فى وسط من الأوساط أو زمن من الأزمان أصبح موقف أصحاب العقائد الثابتة صعبا وعملهم شاقا واذا كان من الثابت أن القابض على دينه يأتى عليه يوم يكون كالقابض على الجمر فإن القابض على عقيدته السياسية لا بد أن يقع فى مثل هذه المحنة أى لا بد أن يصطدم فى طريق جهاده بكثير من العقبات وأن تصادفه طائفة من الأهوال والأرزاء وأن تنزل به مختلف النكبات والكوارث .. هذا ما ينقشه التاريخ على صفحات كل أصحاب العقائد اذا ما أرادوا أن يثبتوا على عقيدة واحدة دون أن يتحولوا عنها وهم مع ذلك يستعدون كل عذاب وكل تضحية وكل مشقة وكل هم فى سبيل الاستمسك بعقيدتهم لأن للإيمان الثابت لذة لا يشعر بها الا المؤمنون الحقيقيون .. فالؤمن الثابت العقيدة سواء أكانت عقيدة دينية أم سياسية يرى أن هذه العقيدة مقدسة لا تحتمل تفريطا ولا زعزعة وأن له من ضميره أكبر حارس على هذه العقيدة .. فاذا ما وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور كان صوت الضمير وحده كافيا لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحورا .. واذا ما تقدم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة وهباتهم العظيمة ووعودهم الخلافة كى يلعبوا بالعقول ويزعزعوا الإيمان وجدوا من يقظة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم لأن هذا الضمير

الخاص الذى لا يخضع للعاديات ولا يتأثر بأثرها المفسد لا يلبث ان يصيح بصاحبه « اياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم شأنه فان جميع كنوز الأرض لا تعدل شرف الانسان ومتى استطاع المرء ان يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن لان الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلب مرارتها واشتد شعائرها وفدحت متاعها - اما الحياة المحردة من الشرف فانها لا تساوى قلامة ظفر ولا يستطيع الانسان اذا كان اسانا بمعنى الكلمة ان يحياها دقيقة واحدة ولو كانت مصحوبة بأعظم مظاهر الزخرف والزينة لأن هذه المظاهر المادية تتحطم فى لحظة قصيرة وتقلب مصدر ألم عميق اذا ما تذكر صاحبها انها لا تتركز على دعامة شريفة » احسبون اننا نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم فى الحيرات بل لا يشعرون » ان هناك عقائد تتزعزع اذا وجدت فى وسط لا يقدر العفيدة حقها وعندئذ يفشو داء القلب والتلون واينار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ويتسع المجال لوسائل التهويش والتضليل ومع ذلك فقد علمنا التاريخ ان هذه الاوساط المسمومة لا تخلو من وجود عقائد لا باتيها الضعف من بين يديها ولا من خلفها بل نزل اصحابها محنطين بعقائدهم متمسكين بمبدئهم قابضين عليها ولو كالقبايض على الجم - وكم ذهب امثال هؤلاء ضحية تمسكهم بمبدئهم فكانوا بمثابة وقود لاشعال واضاءة النهضات الكبرى » .

« قد يرى بعض الناس الاحتفاظ بالعقيدة فى اوقات الشدة والمحنة امرا حيا فهم لا يعقلونه بل يعقلون شيئا آخر هو الاحتفاظ بمصالحهم الشخصية والحرى وراء الاشخاص لا وراء المبادئ ولكن هذه الخطة منكرة مقبولة من جميع الوجوه من اجل ذلك لم نول وجهنا شطرها بل حفظ الله علينا عقيدتنا ومبدانا » .

وعندما عادت الاخبار الى الظهور كتب يقول :
احتجبت جريدة الاخبار سنة كاملة لان القائمين بادارتها ارادوا ان تكون سياستها موافقة للسياسة التى قررها المؤتمر

الوطني الذي انعقد في فبراير ١٩٢٦ ، فلم أسلم لهم بما أرادوه ولم اكن استطيع ان افعل غير ما فعلت : أولا : لان السياسة التي قررها المؤتمر كانت مناقضة لاحكام الدستور فضلا عن مخالفتها للسياسة التي كان زعماء المؤتمر قرروا السير عليها واتفقوا ان لا يجيدوا عنها - ثانيا : لانني كنت مقتنعا كل الاقتناع بصواب الخطة التي كنت اسير عليها في ادارة سياسة الاخبار وتحريرها فلم يكن من المعقول ولا من الدمة ان اغير هذه الخطة تحت تأثير ارادة الغير لان قلم الكاتب لسر ملكا لارادة الغير ولا يجوز ان يخضع الا لضمير صاحبه مهما كانت الظروف ونسوبها » .

بين سعد زغلول والرافعى

كانت نظرة أمين الرافعى الى سعد زغلول كنظرة غيره من شباب الحزب الوطنى متأثرة بما يكتنه اللواء عن سعد زغلول وما يقوله مصطفى كامل عنه مادحا ، أو ناقدا ، وعندما احتسب سعد زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ووزيرا للمعارف بعد مأساة دنشواى واحراج كرومر ، رحب مصطفى كامل فى اللواء بهذا الاختيار باعتبار أن سعد من احسن العناصر الوطنية ، وعندما انسحب سعد زغلول من لجنة مشروع الجامعة الأهلية وكان نائب رئيس هذه اللجنة أو كان الرئيس الفعلى لها انتقدت القوى الوطنية موقف سعد زغلول هذا واعتبرته محاولة للقضاء على مشروع الجامعة الوطنية وفى صالح مشروع الكتائب الذى كانت القوى الاستعمارية تعمل له وتحارب مشروع الجامعة الوطنية من احله وقد عارضت القوى الوطنية سعدا لموقفه فى الجمعية العمومية ومطالبته بالا تكون اللغة العربية لغة التعليم .. وبالرغم من أن الجمعية العمومية عارضت سعدا والحكومة فيما ذهبوا اليه واتخذت قرارا بجعل اللغة العربية لغة التعليم فى مصر الا أن موقف سعد ظل واردا الى فترة طويلة .. وعندما امتدح لورد كرومر فى خطبة الوداع سعدا وهاجم المصريين اعتبرت القوى الوطنية هذا المدح ضد

سعد ومن المقالات التي عارض بها الرافعي سعد زغلول معارضة قوية وعنيفة تلك التي كتبها الرافعي عن موقف الحكومة وسعد بالذات من مشروع مد امتياز قناة السويس وعندما استقبل سعد زغلول ناظر الحقانية وفدا من المحامين وتحدث اليهم عن اهتمامه بكل ما يتعلق بالمحامين الذين يعدمهم جميعا احوانا له ويهمه امرهم - حذرهم من الاشتغال بالسياسة قائلا : لاحسن بالمحامى ان يكون محاميا وسياسيا ولا يحسن به ان يشتغل بالسياسة والمحاماة وان الاولى بالمحامين الابتعاد عن السياسة والتفرغ لصناعتهم . ومما قاله الرافعي : عجب امر هؤلاء القوم .. يحرمون على الطالب الاشتغال بالسياسة ويحرمون على الاستاذ الاشتغال بها كما يحرمون على القاضى الاشتغال بها ، وبالجمله يحرمونها على كل موظف من الموظفين يظنون الآن ان فى استطاعتهم تحريمها على المحامين ومن باب اولى المهندسين والاطباء فمن الذى يشتغل بها اذا بعد هؤلاء ؟ من الذى ينظر فى مصالح بلاده اذا كانت هذه الفئة لا تقوم بهذه المهمة ؟ من الذى يطالب بحقوق وطنه اذا حرم على المدافعين عن الحقوق تأدية هذا الواجب المقدس .

وتطوع الرافعي للدفاع عن سعد زغلول اثناء الضجة التي أعقبت استقالته من الحقانية وذهب الى سعد زغلول يسأله عن استقالته ، وهل قدمها الى اللورد كتشنر وليس الى رئيس الوزراء كما يشيع خصومه ، فقال سعد ان الخبر مكذوب من اساسه فانا لم أقدم استقالتي الى اللورد كتشنر ولا ارى له من الصفة ما يخول لى تقديم الاستقالة اليه .

وقال الرافعي : وسرى عنى بعد ان سمعت هذا الجواب وارتحت له اشد الارتياح كما ابتهج له كل من كان موجودا لدى مساعده ، وسألته عن حقيقة ما يقال من انه لم يؤخذ رانه فى قضية محمد فريد بك فقال حقيقة تقرر السير فى هذه الدعوى

بدون أن يؤخذ رأيي ، ولقد كان ذلك من الأسباب التي عجلت
استقالتى .

ورشح سعد زغلول نفسه لعضوية الجمعية التشريعية
فوضع الرافعى نفسه وجريدته فى خدمة المعركة الانتخابية التى
خاضها سعد ، ونشر حديثا اجراه مع سعد زغلول فى شأن
ترشيحه للجمعية التشريعية عن قسمى السيدة والوايل ، وقد
طلب الرافعى من سعد أن يستحدث وسائل جديدة فى الدعاية
لنفسه بين الناخبين ففى إيطاليا - هكذا قال الرافعى - لمفتح
حق الانتخاب العام للايطاليين ومنهم اميون فكر المرشحون فى
ايقاف هؤلاء الناخبين على مبادئهم بطريقة غير الكتابة فاحذوا
بلصقون على الجدران صورا يرسمون فيها وجوههم بجانب
اسمائهم تارة ضاحكة وتارة مطرفة دلالة على التفكير ، كما
اتخذوا السينما وسيلة للدعاية لانفسهم اذ بهذه الطريقة تعرض
صور المرشح قائما خطيبا بين جماعة من المتحمسين بشرح
لهم آرائه .

وفى اكثر من مقال دعا الرافعى الى انتخاب سعد لكفاءته
القانونية ومقدرته الخطابية ومعلوماته الواسعة . وقد كان موقف
الرافعى من تأييد سعد متسقا مع موقف الحزب الوطنى ، الذى
وقف بدوره الى جانب سعد فى الانتخابات . ومما حاء فى
مذكرات محمد فريد حول استقالة سعد من وزارة الحقانية
وترشيحه لانتخابات الجمعية التشريعية ما يلى : ساعد محمد
سعيد الخديو على اكراه سعد على الاستقالة لانه يخشى منه
المزاحمة على مركز الرئاسة وكان قد اشيع أن حماد مصطفى
باشا يسعى لدى اصدقائه الانجليز لتعيين سعد رئيسا وقد
تمكن سعيد من احراجه لىبقى بلا مزاحم لان النظار الحاليين
ليس فيهم من يقوى على مزاحمته لدهائه وخبثه لذلك نفلب على
الظن أن سعيد يعاكس سعد باشا فى الانتخابات للجمعية
التشريعية لانه يخشى أن يجمع حوله اقلية تناقشه الحساب

وتجاذله خصوصاً أن جريدة الشعب لسان الحزب الوطنى
تعضد سعد - على انى اعتقد انه سيعوز برغم مساعى سعيد «
وكتب محمد فريد - فى مكان آخر من المذكرات : أما
انتخاب سعد باشا فيغيظ الخديو وما يزيده غيظاً أن الحزب
الوطنى عضده وساعده بقوة . . وكتب عبد الملك حمزة الى
محمد فريد عن ترشيح سعد فقال : لم نرشح سعد باشا الا بعد
أن عاهدنا على أن يكون معنا قلباً وقالبا وإذا وقفنا الى الفؤاد
ان شاء الله نجدد ذلك العهد . ويجب محمد فريد فى ١٥
نوفمبر فيقول : انما يلزم لذلك أن يعلن انضمامه للحزب بعد أن
تأكدوا من اخلاصه وأن قصده لم يكن الاستعانة بنا للوصول
الى الوزارة ثم يتقلب كما فعل سعيد باشا ويجب الاحتراس
الكافى من هؤلاء الناس الذين يسرون مع الحوادث . انى أعرف
سعد منذ نحو عشرين سنة وكنت معه بأوروبا ولا أشك فى وطنيته
ولكن أعرف من جهة أخرى انه يكره الخديو وربما تؤديه هذه
الكراهية للاتفاق مع الانجليز للانتقام منه فاحترسوا جيداً
وخلدوا منه الموائيق كتابة حتى يخشى التحول » .

وعقب الرافعى على نجاح سعد فى الانتخابات بقوله : وإذا
كنا أظهرنا ميلنا لترشيح سعد باشا ودعونا الناس لانتخابه فما
ذلك الا لانه وعدنا فى الخطة التى عاهد الأمة عليها أن يسلك
سبيلاً رايئنا فيه تحقيق هذه الفكرة التى لا بد من وجودها ووجود
انصار كثيرين لها حتى تستطيع مصر أن تخطو الى الامام » .

وخاض الرافعى الى جانب سعد زغلول معركة وكالة
الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس وهل تكون للوكيل المعين
عدلى يكن باشا أم للوكيل المنتخب سعد باشا ووقف الرافعى فى
هذه المعركة موقفاً صلباً للغاية وكان يطلق على سعد باشا أبى
الاحرار وعلى النواب الذين وقفوا الى جانبه النواب الاحرار
وظل الرافعى الى أن توقفت جلسات الجمعية التشريعية بعد

اعلان الاحكام العرفية يتابع باستمرار في غير تبعية اعمال سعد باشا ونشاطه ثم انقطعت العلاقة بينهما خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعتقال امين الرافعي وشقيقه عبد الرحمن الرافعي ورفض سعد كما جاء في مذكراته التحدث بشأن الافراج عن امين وعبد الرحمن مع رشدي باشا رئيس الوزراء وكانت لسعد علاقة وثيقة به ، غير ان العلاقة بين سعد وامين قد عادت الى القوة منذ سنة ١٩١٨ في مخلفات امين دعوات كثيرة من سعد زغلول ويخطه الى امين الرافعي لتناول الغداء او العشاء وللتحدث في بعض الامور الجارية ، وعندما بدأ تكوين الوفد المصري الفى امين الرافعي بكل ثقله في جانب سعد زغلول واختلف مع كثير من رفاقه اعضاء الحزب الوطنى حول تأييده لسعد ، وكانت وجهة نظر الرافعي ان سعدا هو اقرب الناس الى الشعب وهو اكثر الزعماء الموجودين كفاية وقدرة على الاضطلاع باعباء رئاسة الوفد ، وامين الرافعي عنيف وعنيد ، عندما يرى رأيا من الآراء يبذل كل طاقته وامكانياته في الدفاع عن هذا الراى مهما يكلفه ذلك من تضحيات جسام ، وقد سبق ان اشرنا الى دور الرافعي في تشكيل الوفد وفي مناصرة سعد زغلول بالذات ، كما سبق ان اشرنا الى علاقة سعد زغلول سواء اكان فى المنفى ام فى باريس بامين الرافعي . واذا كان عبد الرحمن فهمى هو المسئول اداريا عن نشاط الوفد فى اثناء غياب سعد ورفاقه فى المنفى وباريس ولندن ، فان امين الرافعي كان المسئول الفكرى والاعلامى عن الثورة فى المرحلة الاولى من قيامها ، فكان يتولى صاغة بيانات الوفد ويتلقى تعليمات سعد زغلول السرية ، وقد اصدر الرافعي جريدة الاخبار - كما سبق ان ذكرنا وكانت اداة التعبير الصادق عن آراء الوفد ورئيسه ، وما اكثر التفارقات التى كانت تصل الى امين الرافعي من سعد زغلول فى بعض المسائل الهامة المتعلقة باستراتيجية الوفد وتكتيكاته التى لم يكن يعرفها من اعضاء الوفد سوى مصطفى النحاس وحده الذى

كان بدوره وبتمليحات من سعد يرسل الى أمين الرافعي الخطوط الرئيسية لسياسة رئيس الوفد المصري وقد أدى التصاق أمين الرافعي بسعد زغلول ورفاقه ودفاعه عنه الى هجوم الكثيرين على أمين الرافعي ومن بينهم بعض زملائه في الحزب الوطني ، وكانت صحيفة « الإهالي » اشد الصحف هجوما على أمين الرافعي بسبب صلتة الوثيقة بسعد زغلول .

ولكن الخلاف وقع بين أمين الرافعي وسعد زغلول لأن الوفد كان يرى عدم الدخول في مفاوضات رسمية مع بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التي ابداهما في صورة تحفظات على مشروع ملتر ، ثم رأى العدول عن رأيه هذا فعارضه أمين الرافعي وأصر على تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ، وطالب باعتراف بريطانيا أساسا بالحقوق الرئيسية للبلاد في الحرية والاستقلال ، وقد حاول سعد زغلول مراا اقناع أمين الرافعي برأيه فلم يقتنع . ثم حاول سعد اقناع أمين الرافعي بعدم اثاره موضوع تعديل الأساس الخاص بالمفاوضات فلم يقتنع وعندما انطلقت المظاهرات الدامية ضد الرافعي لم يتراجع ، بل كتب في ٢٦/٤/١٩٢١ ان تلك المظاهرات الأرهابية تقنعنا فوق اقتناعنا الماضي بأن الالتجاء الى القوة لتحولنا عن خطتنا ليس له معنى الا أن هذه الخطة سليمة وأن الحق في جانبنا ، ولذلك لم يستطع احد أن يصرعها فاستخدم القوة لصرعها ، على أن الله كان ولا يزال ساهرا علينا فلم يلحقنا أى اذى وخرجنا من هذا النضال وقد ازداد موقفنا قوة وثباتا فقد شعر المفكرون أن حرية الراى اذا صودرت بهذه الوسائل المخزية فان هذه المصادرة تكون سببا في ضياع مستقبل البلاد واساءة سمعتنا الوطنية في نظر العالم ومحو صفحتنا البيضاء التي لا تزال تفخر بها أمام الجميع » .

وقال أمين الرافعي في ٢٣-٦-٢١ : كانت الاخيار ومديرها في نظر معالي سعد باشا مثالا للوطنية الصادقة وكان الرئيس

يتفضل من وقت لآخر باعلان ذلك وامتناح خدمات هذه الجريدة
فى تلفرافاته التى يبعث بها الينا وفى كنبه الخاصة وفى
نصريحاته المتعددة فما باله اليوم قد انتهج حبالها منهاجا آخر
وما زال يتنقل من دور الى دور حتى اراد بالامس ان ينال من
وطنبتنا وهى كل ما نملك فى هذه الحياة بل هى الشئ الذى
يعتقد سعد باشا أنها فوق منال الشكوك .. لئن كان سعد باشا
يرى ان يعامل من بطن انهم خصومه السياسيون بمثل هذا
السلاح مستفيدا من المركز الذى اولته الامة اياه فليعلم انه
سلاح خطر لا يملك دائما ان يكون فى قبضته فيمنح الوطنية
من يشاء وينزعها من يشاء وليتق الله الذى يعرف ما فى
الضمائر وليخش حسابه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا انصار
ولا هتاف ولا مظاهرات .. ليخش الرئيس قصاص الله العادل
فان الدهر لا يبقى على حال والعزة والعظمة للخالق وحده وكل
نعمة لا يرهاها صاحبها لا تلبث ان تزول » .

ثم يقول : اننا لم نألف ان تكون وزارين ولم نعتد خدمة
الهيئات والأشخاص وانما اعتدنا ان نخدم المبادئ وحدها .
ونعمل مع الجانب الذى بقدس هذه المبادئ ، وقد كنا نرى فى
الوفد رمزا لخدمة المبادئ فتطوعت لمأيده ، وقد اتهمنا ودحا
من الزمنا باننا وفديون نتفق على الجريدة من أموال الوفد واننا
مضطرون لهذا السبب الى ان نسير وراء الوفد فيما سار ، وقد
كنتم تعلمون كذب هذه الاتهامات كما كنتم تعلمون اننا مستقلون
فى عملنا ولا نرضى بان نكون ذبلا لاية هيئة مهما عظم شأنها »
ولا نظنكم تنسون انكم فكرتم فى الأيام الاولى لتأليف الوفد فى
ان يصدر الوفد جريدة تكون لسانه الرسمى على ان تستند
رئاسة التحرير الينا فأبينا قبول هذه الفكرة وقلنا لكم باننا
لانريد ان نعمل الا مستقلين بعيدين عن سيطرة اى مخلوق الا
سيطرة ضميرنا . لقد اتهمنا من اجل الوفد بتهم عديدة ولكن
الله ابنى الا ان يزهد الباطل وظهر الحق وعلم خصومنا ومتهمونا

اننا لا نكتب شيئا بايحاء أحد أو لمراعاة خاطر عظيم وانما نكتب ما يوحى الينا الوجدان وحده . اتهمنا من اجل الوعد واوخذنا بسبب تأييدكم ودعوة الأمة الى الالتفاف حولكم فلم نمر هذه التهم أهمية لأنها صدرت من أفراد لا يعرفونا ، ولكننا ما كنا نتوقع وما كان يدور بخلدنا انكم تنسون كل هذا الماضي وتقولون وظيعة الاتهام الفظيعة انتم الذين تعرفون دخائل نفوسنا وحقائق ضميرنا ومبلغ ماضينا من اجل القضية ومن احلكم « .

ويقول أمين الرفاعي : اننا لم نألف فى أى دور من ادوار حياتنا ان تكون وزارين وقد كنتم من اركان الوزارات الماسية فلم نسع فى التقرب لكم بل عرفناكم بعد ان تركتم الوزارة . . . كنتم ركنا من اركان الوزارات السابقة فلم نقصر فى تقديم على كل صمل من الاعمال التى تستوجب النقد . . . لم نقصر فى تقديم يوم وافقتم على مشروع القناة ، لم نقصر فى تقديم يوم اعدتم قانون المطبوعات ونشرتموه . . . لم نقصر فى تقديم يوم وضعت القوانين الاستثنائية المتعددة ونفذتموها بالرغم من معارضة مجلس الشورى ومنها قانون الاتفاقات الجنائية الذى يعاقب على الفكر وقانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات الذى يجعل مركز الصحفى اسوا من مركز القاتل وقاطع الطريق . . . لم نقصر فى تقديم يوم صرحتم فى مدرسة الحقوق بأن قضائنا هم قضاة ضرورة . . . لم نقصر فى تقديم يوم كنتم تسنون للطلبة قوانين قاسية صارمة الى غير ذلك من التصرفات ، وان صفحات اللواء والعلم والشعب خير كلمة بيننا وبينكم وهى تثبت اننا لم نخلق لنكون وزارين بل خلقنا لندافع عن المبدأ الذى نعتقد فى صحته ولو تحملنا من جراء ذلك ما نتحمل من ابداء وتضحيات . . . خلقنا لنكون احرارا . نقول الحق صراحة وفى وجه اية قوة من قوى العالم ولو كان الموت واقعا لنا بالمرصاد . فراجع يا معالى الرئيس ضميرك قبل ان تتهم الابرياء ولا تنس ان الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة وهو المنتقم الجبار .

ويقول الرافعى فى مكان اخر حول هذا الموضوع ايضا : كان جنود سعد باشا يهاجموننا فى دارنا ويقذفوننا بالطوب ويوجهون الينا فاحش القول ويتهموننا بالخيانة ، وعندما كنا ننادى بضرورة عقد جمعية وطنية تفصل فى الخلاف كانوا يهزاون بهذا الرأى حتى كتب بعضهم يومئذ مقالا طويلا يذهب فيه الى انه يجب علينا ان تكف عن الاشتغال بالصحافة ونبحث عن عمل اخر « . ويصف الرافعى كيف ذهب فريق من العقلاء الى سعد باشا يصفون هذه الحالة السيئة التى وصلت اليها المظاهرات الدامية ويطلبون منه وضع حد لها فكان يجيبهم بغير تردد : « اتريدون ان ادافع من خصوصى » وانه كان يقول لانصاره فى أعقاب هذه الحوادث ، « عضدوا رأى بكل قواكم » .

وعن محاولات الصلح التى قام بها البعض روى الاستاذ حامد القصبى القصة التالية : فى يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ عندما تجمعت حشود الطلبة حول دار جريدة الاخبار التى تقوم فى مكانها الان المدرسة اليونانية بشارعى التحرير ويوسف الجندى وتولى فريق منهم الحراسة الخارجية واسرع غيرهم الى قطع الاتصال التليفونى بالدار واقتحم بأقيهم - فى جموع زاهرة - حجرة مكتب صاحبها الوطنى الفيور الاستاذ امين الرافعى يهددونه بالقتل اذا لم يكف عن الاسترسال فى نشر رأى له عن تعديل اساس المفاوضات بين مصر وانجلترا حول قضية جلاء المحتلين واستقلال البلاد التام ، كانت بريطانيا قد وضعت وقتئذ مشروعا لحل القضية المصرية اسمته مشروع ملنر ، ذهبت به فى اغسطس من عام ١٩٢٠ الى الوفد المصرى بزعامة سعد فى اثناء اقامته فى باريس واشترطت قبوله كله او رفضه كله كأساس لمفاوضة رسمية ، ولما اختلفت الاراء فى شأن هذا العرض اوفد الوفد المصرى الى مصر فى سبتمبر عام ١٩٢٠ بعض اعضائه لاستفتاء الامة فيه فعادوا اليه مزودين بمجموعة من التحفظات الجهورية التى توضحه وتحده وتحول دون تسرب الخداع

والتضليل في ثنائه ، وبمجرد ان اقر الوفد المصرى تلك التحفظات
وأعلن تمسكه بها شرع المرحوم امين الرافعى ينادى بتعديل
اساس المباحثات بمراعاة هذه التحفظات قبل الشروع في اية
مفاوضة رسمية ، وكان طلاب العلم على اختلاف معاهدهم
وتفاوت سنهم جنودا اوفياء للوفد وكنت اذ ذاك طالبا بالسنة
الثانية بمدرسة المهندسخانة ولم تفتنى المساهمة فيما جل او
هان من امور كانت تعتبر من اقدس واجبات الطلاب في ذلك
الحين ولكن محاولة الاعتداء على الاستاذ امين الرافعى وهذه
دعوته وتلك رسالته ، لم تعجبهم فلم اطق صبرا عليها فبعثت في
٢٥ مايو سنة ١٩٢١ بكتاب الى المغفور له الزعيم الخالد الذكر
سعد ، كاشفته فيه - كجندى من جنوده - بالمرارة التي شعرت
بها للطريقة التي قوبل بها الرجل الذى كان ينطق بلسان الوفد
الى عهد قريب ، حتى فيما اختلف واياه في الوقت الحاضر من
ناحية تعديل الاساس ورجوت من الزعيم في اخلاص وحرارة ان
يكف الاذى عن المجاهد الكريم ويعمل على استرجاعه الى حظيرة
الوفد لانه قوة مؤمنة نابغة وبخاصة ان ما كان مختلفا عليه من
حيث اشتراك الوفد في هيئة المفاوضات الرسمية قد حسم
بتشكيل تلك الهيئة من فريق الحكومة وحدها ، وبعد ثلاثة ايام
استدعانى المغفور له عاطف بركات باشا عن طريق احد زملائى
الذين كانوا يترددون على بيت الاممة فادركت سبب الدعوة
وقصدت في عصر ذلك اليوم - وكنا في شهر رمضان -
الى دار جريدة الاخبار حيث لم اجد الا المغفور له الاستاذ امين
الرافعى قائما بصلى ومعه شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى
- اطلعتهما على صورة خطابى للزعيم سعد وانتهيت اليهما نسا
الدعوة التى تلقيتها واستوضحت الراى فيما يحتمل ان يدور
بينى وبين عاطف بركات باشا فما كان من الاستاذ امين الرافعى
الا ان ابتسم وترك لى حرية التصرف ، اما شقيقه الاستاذ
عبد الرحمن الرافعى فقد حيد تلبيتها مؤكدا انها ستكشف له في

القليل عما يوجهه رجال الوفد الى الاستاذ أمين الرافعى مما
 أعرف بحكم صلتى به ، وكتابتى فى صحيفته أنه براء منه . وبعد
 فروب ذلك اليوم بقليل وقبل أن يزخر بيت الأمة برواده كنت
 أمام عاطف بركات باشا فى حجرة مكتبة الزعيم العظيم سعد ،
 فذكرنى أنه - وهو يقرب النظر فى برید الرئيس - اطلع على
 خطابى اليه فرأى أن يحدثنى فى موضوعه فليس أحب الى الوفد
 من استئناف التعاون فى العمل من أجل الوطن مع الاستاذ أمين
 الرافعى وإن كانوا قد سعوا اليه من طريق المحرمين محمد
 سعيد باشا وفتح الله بركات باشا ولكنه كان كالحصان الجامح
 يعض على اللجام فلا يستطيع أحد كبج جماعه على أن هذا لا
 يمنع من أن أجرب وساطتى . وقد يضيع الله سره فى أضعف
 خلقه . وعندما تساءلت عما إذا كان هذا هو رأى الزعيم سعد،
 أجابنى عاطف باشا بأنه يعرض حلاً سيكون هو المسئول عن
 تنفيذه وأضاف قوله أن الوفد اذ يرحب بعودة الاستاذ أمين
 الرافعى الى مكانه الاول منه فإنه يشترط أن تكون تلك العودة
 قلباً وقالباً ، والا يحاول أن يملأ على الوفد خطب . وادرنأ
 الحديث بعد ذلك فى مواضيع شتى متصلة بالخلاف ثم استأذنت
 فى الانصراف لمقابلة الاستاذ أمين الرافعى على أن أعود الى بيت
 الأمة فى المساء نفسه لموافاة عاطف باشا بنتيجة المسامى ،
 وقصدت الى دار الاخبار وقابلت صاحبها وأبرزت ترحيب
 الوفد باستعادة نشاط صاحب الاخبار ولم أمس شروط العودة ، وإذا
 بالرجل يجيب فى اصرار بأنه عول على ألا ينتمى الى أى حزب أو
 جماعة وأنه سيظل ما بقى حياً يعمل بوحى ضميره غير ناظر الى
 من يرضى أو يفضب . ولما ذكرته أنه صاحب رأى يعنيه
 أن ينتشر وإن مجانته للأغلبية ستحجب رأيه عن الكثرة ، قال
 سأكتب طالما أشعر أن هناك فرداً واحداً فى الأمة يقرأ لى . واستطرد
 أمين الرافعى يقول : لعلك لا تعرف اننى الوحيد فى هذا البلد
 الذى احتج عملياً على بسط الحماية البريطانية على مصر اذ اغلقت

جريدة الشعب وطوبتها عن الناس مما حدا بالسلطان حسين كامل ان يستدعيني ليعهنى ان توقف جريدتى عن الظهور في هذا الظرف يعتبر طعنا في وطنيته ، وعندما انصرفت من حضرته قابلنى كبير الامناء وحاول ان يضع في جيبى خمسة الاف جنيه بحجة ان حجب الجريدة يرجع الى نضوب مواردى المالية فانييت عليه واستمسكت بالرفض في عناد شديد ولم يكن في جيبى اذ ذاك الا عشرة قروش وكان عطف اخى عبد الرحمن هو وحده سندی وعليه بعد الله معتدى وقد ترتب على موقفى هذا ان خرجت في ذلك اليوم من سراى عابدين لادخل ضيفا على المعتقل لاشهر عديدة ، مليئة بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل ، افتظن ان من كانت هذه حالته يمكن ان يفيد قلمه ورايه بقيود جماعة او هيئة .. وعدت الى بيت الامة في المساء المتأخر وهمست في اذن عاطف باشا قائلا : ابعادوا الطلبة عن امين الرافعى وكفوا عن العدوان والزمن كفيل بان يقرب ما بينه وبين الوفد فقال : واذا سالك سائل عن كان سببا في اخفاق سعيك فهل تقول انه الوفد او امين الرافعى ؟ فقلت امين الرافعى كانسان من حقه ان يفضب لاستباحة دمه فلا اقل من ان تستعين عليه بالزمن في ظل جو هادىء . قال : الى هذه اللحظة كنت احسبك محايدا فاذا بى اراك متحيزا . قلت افيمكن ان يكون السامى الى الوفاق الا محايدا اصدق الحياذ .

وعندما قطعت المفاوضات بين مصر وبريطانيا كتب الرافعى في ٢١/١١/١٩٢١ يقول : لقد كنا خصوم الوفد الرسمى لانه قبل مبدأ المفاوضة على غير الاساس الصالح لتحقيق مطالبنا ؛ فلما ازمع السفر جددنا معارضتنا له في خطته ثم انتظرنا نتيجة سعيه لنحكم على عمله . واكد الرافعى انه لم يتسرع في الهجوم على اعضاء الوفد المصرى كما فعل آخرون بل اثر الانتظار حتى ظهرت الحقيقة : ولعل في هذا ما يحمل الطاعنين في ضماثر الناس المتسرعين في اتهام مخالفينهم على ان يخفوا من غلوائهم

ويقلعوا عن امثال هذه الخصومات الشخصية الضارة ، وان تكون خصومتهم شريفة رائدها حسن النية ومقصورة على المبدأ وحده لان الخصومة القائمة على الكذب والتضليل تكون مجردة من الشرف وخليقة بالازدراء ودليلا على ان صاحبها لا يحمل بين جنبيه ضميرا يبغي حسابه ..

وينفى سعد زغلول للمرة الثانية وينسى الرافعي كل ما كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة ويجند نفسه للدفاع عن سعد زغلول وضرورة تمتعه بالحرية . ويسمع ان سعدا مريض ، فيكتب مقالات عديدة مطالبا بالافراج عنه والاهتمام الخاص بصحته .

وتجرى الانتخابات ويفوز سعد بالاغلبية الساحقة في هذه الانتخابات وفور ظهور النتيجة طالب الرافعي يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزارة ، الذي سقط في الانتخابات هو وبعض وزرائه بالاستقالة لتجيء وزارة حزب الاغلبية وكتب الرافعي كثيرا عن احلامه وآماله في تلك الوزارة ثم يصدم بخطاب ١١ :

على ان الجدير بالذكر ان الخصومة بين سعد زغلول وامين الرافعي التي قامت اثر هجوم امين على خطبة العرش الاولى التي كانت باسم الوزارة السعدية ، قد ظلت قائمة الى ان لقي سعد زغلول ربه في ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ اى قبل وفاة الرافعي بأربعة اشهر تقريبا ، وهناك حقائق لا بد من تسجيلها لتحديد العلاقة ما بين امين الرافعي وسعد زغلول : أولا - ان الرافعي عندما كان يقف الى جانب سعد زغلول كان يؤمن بان الصالح العام يقتضى الوقوف الى جانبه ، وعندما كان يعارضه بشدة وعنف لم يكن ذلك لمصلحة شخصية بل كان يستهدف الصالح العام ايضا .

ثانيا - ان امين الرافعي انفرد دون غيره من ابناء الحزب الوطنى بالثقة في سعد زغلول . وتفق به يوم ان رشح نفسه

لانتخابات الجمعية التشريعية وشجعه بالرغم من ان محمد فريد كان يريد ان يأخذ على سعد الموائيق بأن يعلن عن انتمائه للحزب الوطنى بعد فوزه ، ووثق به اثناء تكوين الوفد المصرى وابده بينما كانت الغالبية من أعضاء الحزب الوطنى تعارض سعدا معارضة عنيفة . ودافع عنه أيضا وهو فى المنفى ولم يكن الرافعى فى ذلك كله ساذجا ولكنه كان يرى ان الطريق الذى سار فيه هو أصوب الطرق .

ثالثا - عندما اختلف امين الرافعى مع سعد زغلول لسم يشأ الرافعى ان يستغل ما لديه من تلفرات وخطابات ووثائق كانت تحت يده بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ولم يسمح امين الرافعى لاحد باستغلال هذه الوثائق لضعاف مركز الوفد ومركز سعد بالذات وكانت حجة امين فى ذلك ان الخصومة فى الراى مهما عنفت واشتدت لا يمكن ان تصل الى حد افشاء الاسرار التى اوثمن عليها احد الافراد فى وقت من الاوقات وكان كل ما يفعله الرافعى ان ينشر فقط رسائل المديح والاطراء التى كان يرسلها اليه سعد من الخارج .

رابعا - كان سعد زغلول يخشى امين الرافعى وكان يعرف ان لديه الكثير من الحجج المقنعة وان خصوم سعد بل انصاره يثقون فى رجاحة راى الرافعى ونبل مقاصده ولذلك كان سعد زغلول يحاول باستمرار ان يستميل اليه الرافعى .

منقذ الدستور

كان الرافعى بطبعه وثقافته وميوله يؤمن بالشعب وحكم الشعب ويرى فى الحياه النيابيه خير علاج لما تعاييه الشعوب المستعبدة من كوارث ونكبات ومنذ ان حمل القلم وهو ينادى بضرورة تحقيق الحكم النيابى وعندما دعا الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد الى توقيع عرائض المطالبة بالدستور اشترك الرافعى فى هذه الحملة كصحفى وسياسى وعندما صرحت الوزارة فى ٨ فبراير ١٩٠٨ فى الجمعية العمومية بان الوقت لم يحن بعد لحصول البلاد على مجلس نواب بادر الرافعى الى مهاجمة الحكومة مؤكدا « ان شعب مصر أرقى بكثير من الشعوب التى حصلت على الدستور فى أوروبا » - ولم يترك الرافعى انة فرصة دون الاشادة بأهمية الحصول على الدستور ورغم ضعف اختصاصات الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين الا ان الرافعى كان يهتم بهما ، ويولى جلساتهما أهمية خاصة .

وعندما بدأت جلسات الجمعية التشريعية ، راح الرافعى كائى محرر برلمانى نشيط يتابع جلسات الجمعية التشريعية ويعقب على المناقشات التى تجرى فى هذه الجلسات واقترح الرافعى انشاء معارضة داخل الجمعية التشريعية ورشح

سعد زغلول لرعاية هذه المعارضة وعندما قامت الحكومة بتعيين بعض اعضاء الجمعية التشريعية - كما ينص قانون انشاء هذه الجمعية - لم يشأ الرافعى ان يقف موقف العداء من هؤلاء الاعضاء لان الحكومة - وهى خاضعة للنموذ الاستعمارى - قد عينتهم بل راح يبدى اهتماما خاصا بهم ويعلن ان الشعب يعلق عليهم آمالا كبيرة .

ويستمر الرافعى فى الاهتمام بأعمال الجمعية التشريعية ويهتم الاعضاء بما ينشره الرافعى من مقالات ويعرض سعد زغلول بوضعه وكيلا منتحبا للجمعية على امين الرافعى وظيفة سكرتير الجمعية بمرب مقرر فيأبى الرافعى ذلك مؤكدا أن مجاله ليس تقلد الوظائف الحكومية وانما فى العمل الصحفى المتحرر ، وعندما اكهر الجو الدولى فى منتصف ١٩١٤ وصدر الامر العالى فى ١٨ أكتوبر ١٩١٤ بتأجيل انعقاد الجمعية الى اول يناير ١٩١٥ قال الرافعى : « ان الظروف الراهنة لا تستدعى تأجيل جساب الجمعية بل بالعكس فان هذه الظروف تؤكد ضرورة دعوة الجمعية التشريعية للانعقاد » وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وقيام ثورة ١٩١٩ وبداية الخلاف بين سعد وعدلى دعا الرافعى الى عقد جمعية وطنية لتبدي رأيها فى هذا الخلاف باعتبار ان الشعب هو مصدر كل سلطة وهو وحده المرجع الاول والاخير فى كل ما يتعلق بشئون السياسة ، ويكرر الرافعى دعوته الى انتخاب جمعية وطنية لبحث أى اتفاق يمكن ان تصل اليه مصر وبريطانيا .

وعندما شرعت وزارة ثروت باشا فى اعداد دستور للبلاد سل الرافعى قلمه دفاعا عن حق الشعب فى وضع دستوره ، وعاب على الحكومة التجاءها الى الوسيلة العتيقة التى تجعل وضع الدستور من مهمة لجنة حكومية ، وقال ان الشعب فى عام ١٨٨٢ هو الذى قام بوضع الدستور ولا يمكن ان يعود الشعب

الى الوراء اربعين عاما . وطالب بانتخاب جمعية وطنية تتولى وضع الدستور باعتبارها منتخبة من الشعب ، وكتب الرافعي مقالات عديدة من « كيف تضع الامم دساتيرها » وتتبع اعمال لجنة الدستور ، وناقش المبادئ العامة التى وضعتها وكتب سلسلة من المقالات عن المبادئ العامة التى اوتتأت اللجنة الاخذ بها - كما كتب سلسلة مقالات اخرى عن مشروع لجنة الدستور وكتب سلسلة مقالات عن الدستور ذاته بعد صدوره .

وتعتبر مقالات الرافعي عن الدستور من اروع المقالات التى كتبت عن حق الشعب فى حكم نفسه بنفسه . وتصلح هذه المقالات ان تكون وحدها كتابا قائما بذاته . ومما يجدر بنا ان نذكره ان سعد زغلول كان يحتفى بهذه المقالات ، وكان يعتبرها خير معبر عن آرائه . قال سعد زغلول فى الحفلة التى اقامها له الطلاب « تسألوننى عن رأى فى الدستور واقول لكم انى قرأت كل ما كتبه امين الرافعي فى نقده وكأنه يستلهمنى ما كتب ! »

وكتب سعد زغلول خطابا الى طاهر اللوزى يقول فيه :
« وعدتكم بإبداء ملاحظاتى على الدستور ، وهى بالاجمال انه انشأ للبلاد حكومة مطلقة فى الظاهر ومقيدة فى الحقيقة . وفتح للانجليز بابا واسعا للدخول منه فى شئون البلاد وادارتها بما يعوق تقدمها وبجاحتها من غير ان يتعرضوا للمسئولية ، اذا ارادت البلاد تقييد هذه السلطة بما يمنع هذا التدخل لم يمكنها ذلك الا بتعديل الدستور وتعديله لا يتأتى الا باجماع شروط ضعبة الاجتماع وأهمها موافقة الملك ، وقد فصل ذلك أمين بك الرافعي فى ملاحظاته على الدستور وقد قرأت منها لغاية الملاحظة ١٢ فاستحسنتها كل الاستحسان » .

ويرد الرافعي على هذا الخطاب بقوله : « اطلعت اليوم على خطاب معاليكم لصديقى طاهر اللوزى الذى اشرتم فيه الى نقد الاخبار للدستور واستحسانكم لهذا النقد ، وانى مفتبط كل

الاعتباط لتقديركم لهذه المقالات وموافقتكم على ما تضمنته من
الآراء » .

ويتولى الرافعى باستمرار الدفاع عن الدستور عند كل
أزمة يتعرض لها وعند ما قام زيور باشا بحل مجلس النواب
مرتين لسبب واحد ابتكر أمين الرافعى فكره عند مجلس النواب
بحكم القانون فى السبت الثالث من نوفمبر ١٩٢٥ ودعا الرافعى
الى تنفيذ الفكرة واجتمع البرلمان فى فندق الكونتنتال وتفرع عن
اجتماعه انعقاد المؤتمر الوطنى فى فبراير ١٩٢٦ الذى تقرر فيه
دخول الانتخابات وفيما يلى قصة هذا العمل الدستورى الذى
كان من أجل الاعمال التى قام بها فى تاريخ حياته - قال
الرافعى :

فى مساء يوم السبت ٧ نوفمبر ١٩٢٥ بعد الفراغ من عملى
اليومى فى جريدة الاخبار اخذت اقرا كتابا وضعه الاستاذ بول
مائر فى البحث الخاص بحل الجمعيات البرلمانية ابتفاء الوقوف
على آراء علماء الدستور فى مدى السلطة التى تخول الحكومة
الانفراد باصدار القوانين خلال الفترة التى يكون فيها البرلمان
منحلا . فلم اكد انهم القسم الاول من هذا الكتاب حتى رايت
نفسى امام غاية أخرى غير التى كنت أسعى وراءها لان الآراء
التى ادلى بها الكاتب فى مسألة حل البرلمان والآثار التى ترتبت
عليه كانت بمثابة قبس من نور هدانى الى طريق جديد كان مغلقا
امامى وامام غيرى .

وتكونت لدى عناصر الفكرة التى عزمت على الكتابة فيها ولا
استطيع ان اصف مقدار سرورى باهتدائى الى هذه الفكرة التى
اعتقدت ان تنفيذها يخرج البلاد من الأزمة التى كانت تتخبط
فيها وكدت اصيح لقد وجدتها - لقد وجدتها ، كما فعل
أرشميدس حينما اكتشف فجأة قانون الوزن النوعى - وما لبثت
ان فاتحت بعض الاخوان بهذه الفكرة وناقشتهم واقتنعوا بها وان

كانوا لم يتوقعوا نجاحها وبدأت حملتى من اليوم التالى (الاحد ٨ نوفمبر) ولكنى كنت أخشى كثيرا كما خشى اخوانى أن تحبط هذه الفكرة وتقف عند مجرد الادلاء بها دون أن يسمع لها النواب وتدخل فى دور التنفيذ بيد أن الله قدر لها النجاح فكتب اكثر الصحف فى تأييدها واتفقت كلمة الاحزاب على الدعوة اليها ونشطت الامة لتحبيذها ونهض نواب البلاد لتنفيذها وكانت الايام القليلة التى تفصل ٨ نوفمبر عن ٢١ نوفمبر حافلة بحركة وطنية كبرى كللت بفوز باهر بالرغم من المسامى التى بدلتها الحكومة وقتئذ لاحتباط هذه الفكرة - انعقد البرلمان اذن فى فندق الكوننتنتال بين سمع الحكومة وبصرها فكان لهذا العمل اثران فى نفسى - الاول - سرورى بانقاذ الدستور وفوز الامة واندحار الحكومة وهو ذلك السرور الذى عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات - الثانى : ارتياح ضميرى ارتياحا يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها النجاح ، .

وفى نفس اليوم المحدد لاجتماع البرلمان كتب الرافعى يقول : استئناف الحياة النيابية وانعقاد البرلمان بارادة الشعب - اجتمع البرلمان بالرغم من ارادة الوزارة - اجتمع البرلمان بالرغم من القوى المسلحة - اجتمع البرلمان بالرغم من الخطبة المحمقاء التى اشار بها حلمى عيسى وعلى ماهر - اجتمع البرلمان رغم كل شئ - اجتمع البرلمان وانف الاستبداد راغم - اجتمع البرلمان فسجل فى تاريخ مصر صفحة خالدة سيقرا فيها العالم بأسره ان مصر لا تعرف الهزل فى حياتها وانما تعرف الجد - انه لدرس جليل لفته الامة على المستبدين واشهدت العالم على أن الروح الوطنية تدب فيها ديب الحياة وان نارها أصبحت موقدة فى كل قلب من قلوب ابنائها فلا يستطيع اى مستبد ولا اى ظالم أن يخمدها او يضعف اثرها .

ويصف عبد الرحمن الرافعى هذا الحدث الضخم
مذكراته المخطوطة التى تحتفظ بها والتى لم تنشر بعد - بقوله : ٥٠

يوم السبت ٢١ نوفمبر ٢٥ يوما مشهودا في تاريخ مصر وفي تاريخ الحياة البرلمانية المصرية ففيه انعقد البرلمان من تلقاء نفسه في فندق الكونتنتال بالرغم من ارادة الحكومة ان الفضل في هذه الحركة العظيمة يرجع الى شفيق امين الرافعى لانه هو الذى ابتكر فكرة وجوب انعقاد البرلمان في ٢١ نوفمبر طبقا للمادة ٩٦ من الدستور وكتب سلسلة مقالات مملوءة حججا قوية وبراهين قانونية في وجوب انعقاد البرلمان من غير دعوة من الملك . كتب اول مقالة في الاخبار يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٥ واثبت ان مرسوم الحل قد بطل بالمرسوم الذى اوقف عملية الترشيحات بسبب شروع الحكومة في تعديل قانون الانتخابات ومع ان الاخبار ليست منتشرة مع الاسف فان الفكرة لقيت تعظيما كبيرا من الصحف لان السعديين والاحرار الدستوريين والجمهور كانوا متعطشين لعودة الحياة النيابية بعد ما عانوا من سيئات حكومة الاتحاد ما عانوا . وافق الاحرار الدستوريين بلسان صحيفة «السياسة» على الفكرة وكذلك اقراها السعديون في صحفهم . وصارت حديث الناس في مجالسهم على اختلاف احزابهم واعلن حافظ بك رمضان باسم الحزب الوطنى قرار اللجنة الادارية في ١٣ نوفمبر ١٩٢٥ بدعوة نواب الحزب الوطنى في البرلمان ومن ينحو نحوهم من النواب الى الانعقاد في دار البرلمان يوم ٢١ نوفمبر طبقا لاحكام الدستور فكانت هذه الدعوة الرسمية من الحزب الوطنى تسجيلا لفكرة امين بسك ان الحزب الوطنى هو صاحب الفضل في هذه الفكرة من مبدأ ظهورها وظهر ان سعد باشا في خطبته التى كان ينوئ القاءها يوم ٢٣ نوفمبر موافق على الفكرة ولو انه لم يشأ ان يردا الى صاحبها وقال انها ليست جديدة والحق انها جديدة لان امين بك هو الذى ابتكرها ولولاه لما التفت أحد الى وجوب انعقاد البرلمان ، بعد حل مجلس النواب تبين ان الاحزاب كلها وافقت اذن على الفكرة فوح على النواب ان يلبوا الدعوة فاهتمت الامة بهذه المسألة اهتماما عظيما

لأن انعقاد البرلمان بعد حل مجلس النواب حادث خطير يعيد الحياة النيابية الى البلاد رغم ارادة الحكومة وانهمر سيل التلغرافات في جميع الصحف تأييدا للفكرة وكان واجبا على أن أعمل على نجاح الفكرة والحق أني قمت بمجهود عظيم في سبيل نجاحها سافرت الى مصر صباح يوم الاربعاء ٨ نوفمبر فتقابلت مع اخواني أعضاء الحزب لنتفق على طريقة اجتماع البرلمان ونتفاهم مع نواب الاحزاب الاخرى على طريقة الاجتماع وكانت الحكومة قد شعرت بخطورة الفكرة فأعلنت بلسان صحافتها انها ستمنع الاجتماع وانها ستعتبره باطلا وانها ستحيط دار البرلمان بقوة جنودها في الجيش والبوليس لمنع الاجتماع واصدرت بلاغا تطلب فيه من النواب والشيوخ ان يمتنعوا عن عقد اجتماع قالت انه باطل وتهددتهم بانها ستمنع الاجتماع في دار البرلمان وفي اى مكان آخر .

علمت على أن أقوم بواجبى في سبيل التفاهم بين الاحزاب فقابلت فتح الله بركات باشا في منزله صباح الخميس وسالته عما اذا كان الوفد قد نظم طريقة اجتماع البرلمان فرأيت منه تخوفا كبيرا من عواقب الاجتماع ودهشت لانى أعلم أن انعقاد البرلمان في هذه الظروف هو لمصلحة الوفد لان الاغلبية فيه للسعديين ولقد قال لى ان الفكرة هي فكرة الحزب الوطنى فعليه هو أن ينظم الاجتماع فقلت له ان الحزب الوطنى هو حقيقة صاحب الفكرة ولكن ليس له الاغلبية بل هو اقلية صغيرة ولا يطلب من الاقلية وضع خطة تنفيذ الفكرة وكانت المناقشة على غير جدوى وأخيرا فهمت منه انه يفضل مقابلة حافظ بك رمضان لسعد زغلول ليتكلم في هذا الموضوع وكنت عالما أن حافظ بك غير راغب في هذه المقابلة لتكرار ورود اسمه في تشريفات بيت الامة حينما قابل سعد باشا غير مرة منذ اكثر من شهر فلمحت لفتح الله بركات الى هذا المانع وقلت له انه ليس من المناسب عندما يقابل مثل

حافظ بك سعد باشا ان يرد اسمه في التشريفات ويبلغ الصحف
واخيرا فهمت انه لا بد لحل هذه العقدة من ان يتقابل حافظ
بك مع سعد ، فذهبت الى نادى الحزب الوطنى واجتمعت
واخوانى وافهمتهم الحديث الذى دار بينى وبين فتح الله
باشا وكان حافظ بك مترددا لان نفس أعضاء الحزب كانوا
يلومونه على تكرار مقابله لسعد وبعد مناقشة طويلة استقى
الرأى على ان يقابله فتقابنا مع فتح الله باشا وعلى الشسمى
ودعانا فتح الله الى الفداء فى منزله فذهبنا معه لنتم مساعينا
فى سبيل التفاهم - ورايت من حديث فتح الله لحافظ بك انه
شديد الوجل من اجتماع البرلمان وقد لاحظت انه يتخوف من
عدم نشر الاحرار الدستوريين لقراراتهم وانه لا يثق بهم فهو لا
يريد ان يتفرد النواب السعديون بتحمل هذه المسؤولية مع
نواب الحزب الوطنى فلما عرضنا عليه ان يتداول النواب قبل
يوم الاجتماع فى اصدار قرارات يوقعونها حتى تكون معدة
للتشريع يوم ٢١ نوفمبر فيما اذا لم يتيسر عقد البرلمان اظهر
كذلك تخوفه من عواقب هذه الطريقة وقال كيف تضمنون ان
لا تصل الحكومة الى استكتاب قرارات تناقضها من باقى الاعضاء
وافترقنا الساعة الثالثة على ان يعود حافظ بك لمقابلة سعد
باشا فى بيت الامة الساعة الخامسة لان سعد كما يقول فتح الله
باشا هو مفتاح الباب ، ذهب حافظ لمقابلة سعد باشا فى الموعد
فالقاء ايضا متخوفا جدا من الاجتماع - وكان حديث فتح الله
باشا صورة لافكار سعد وقد الح عليه حافظ بك فى ضرورة
العمل وان الجمود يقضى على الحركة كما انه يؤثر فى مركز سعد
والظاهر ان حديث حافظ بك قد اثر فى نفس سعد واخرجه من
الجمود لانه فى المساء دعا حافظ بك من جديد لمقابله بعد
العشاء ففعلنا انه حصل تطور فى الموضوع ولكن قبل ذلك نشر
سعد نداء للامة بالتزام الهدوء والسكينة فى يوم ٢١ نوفمبر
ففهمنا من ذلك انه ما زال شديد التخوف من عواقب الاجتماع

والتصادم مع قوة البوليس والجنود - كتبت في مساء الخميس مشروع قرارات يقررها البرلمان مجتمعاً يوم ٢١ نوفمبر وكان من رأيي ان نتفق قبل هذا اليوم على صيغة القرارات وان يجمع عليها النواب للأحزاب المختلفة حتى لا يحصل أى خلاف يوم ٢١ نوفمبر وحتى يمكن عقد اجتماع قصير ينتهى باعلان هذه القرارات - فكرت في ذلك لاننا كنا نتوقع أن الحكومة لا تتمكننا من عقد اجتماع صحيح فوافق اخوانى اعضاء الحزب على هذه القرارات وذهب حافظ بك رمضان وعبد الحميد بك سعيد الى نادى الاحرار الدستوريين لعرضها على اقطابهم الذين كانوا مجتمعين في ناديهم وهم عبد العزيز بك فهمى ومحمد على باشا وحافظ بك عفيفى ومحمود باشا عبد الرازق ومحمد باشا محمود وانتظرت انا في نادى الحزب الوطنى لكى اتلقى طلباً من بيت الامة لابلغه الى حافظ بك ولم يوافق زعماء الاحرار الدستوريين على الصيغة التى وضعتها لانها عبارة عن اعلان ثورة في نظرهم ويمضى عبد الرحمن الرافعى في ذكر الحديث عن الخطوات التى أدت الى لئاء الاحزاب الثلاثة : الوفد والحزب الوطنى والاحرار الدستوريين - وكان الحزب الوطنى كما ذكر حافظ رمضان - هو موقف الزوج بين ضربتين (الوفد والاحرار الدستوريين) لا يستطيع كيف يوفق بينهما وبذلك الرافعى كيف كان الاحرار الدستوريين اسرع الى تنظيم الاجتماع فانهم اتفقوا مع فندق الكونتنتال على ان يبيت اكبر عدد ممكن من النواب - ليكونوا على موعد للالتقاء باخوانهم صباح السبت وكنت ممن بات في الفندق ليلة الاجتماع وكنا لفاية الصباح مترددين في هل نعقد الاجتماع في الكونتنتال ام نذهب الى دار البرلمان ونحاول ان نقحم ابوابه وقد كان من رأيي ان نجرب هذه المحاولة فان نجحنا انعقد البرلمان في داره وان لم ننجح هدنا الى الكونتنتال ، وعقدنا اجتماعنا فيه وكانت الاسماء متضاربة والانباء مزعجة فيما ستفعله الحكومة لمنع الاجتماع

فان البلاغات والتعليمات التى اصدرتها الحكومة ووزارة الداخلية كانت تقضى بمنع الاجتماع فى اى مكان ولو باطلاق النار واعدت الحكومة احتياطات عسكرية كانما نحن فى حالة حرب وكان الناس فى البلاد فى خوف وقلق وانزعاج على اى نمت فى الكونتنتال نوما هادئا . تقابلت فى الصباح بردهة الكونتنتال ببعض النواب الذين بكروا فى الحضور وكنت ارى على الوجه ابتسامة الحزم والعزم فتفاءلت خيرا وكانت القوات المسلحة منتشرة فى الشوارع والطرق والقوة الكبرى معسكرة فى دار البرلمان - على ان الذى لاحظته ان الجنود وضباطهم كانوا يظهرن عطفهم واحترامهم للنواب والشيوخ واعجابهم بهذه الحركة المباركة والواقع ان الجيش لم يكن فى صف الحكومة وكذلك البوليس وهذا مكسب كبير لنا لاننى على يقين انه اذا استمر التضامن الذى ظهر فى اجتماع الكونتنتال فان الحكومة لا تجد آية قوة تركز عليها لمقاومتنا .. الى ان كانت الساعة العاشرة فعددتنا الحاضرين منهم فوجدناهم نحو ١٨٠ نائبا وشيخا وكانت اغلبية النواب المطلقة قد تكامل عددها فأصبح من الممكن عقد مجلس النواب وكان سعد باشا لا يريد حضور الاجتماع ، هذا أمر واقع ، وكتابة صيغة الاحتجاج الذى وقعته للنواب السعديون تدل على انهم يريدون الاكتفاء بالاجتماع واطلاق ارادة النواب فى أن يجتمعوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .. وأذكر اننا عندما كنا فى منزل سعد باشا ليلة الجمعة قال لنا بصراحة يجب أن نكتفى بالاحتجاج وان لا نحاول الذهاب الى البرلمان أو الاجتماع لانه كان متخوفا من العواقب ولكن تطور الحال صباح السبت السبب ارجعه عن عزمه واقنعه بالعدول عن رايه والحضور لمشاركة الاعضاء فى اجتماعهم وليس من شك ان من مهارة سعد مسابرة الظروف وانتهازه الفرص الطارئة والاستفادة منها ولكن يظهر ان سعد لما تكامل عدد النواب واخذوا يوقعون القرارات التى اتفقنا عليها خاطبه بعض اعضاء

الوفد في التليفون في ضرورة الحضور فحضر والاعضاء يوقعون -
والحق ان حضوره اثار الحماسة في النفوس لا في الاعضاء
وحدهم بل في الجماهير ويجب ان نعترف بان لسعد شخصية
كبيرة مؤثرة في الاجتماعات وتزيد بها قوة هذا هو رأيي وان كنت
أعتقد ان انانية سعد قد اضررت كثيرا بالقضية الوطنية كما انها
فككت الوحدة القومية وكنت اعتقد انه اذا استطعنا ان نقلل من
انانية سعد ونجعله زعيما قوميا لا زعيما حزبيا لاستفادت البلاد
كثيرا من هذا التطور والواقع انه حضر اجتماع الكونستنتال
بروح مسالمة وهودة مع خصومه السياسيين لا بروح التعصب
الحزبي الذي اشتهر به والذي رأيته فيه حتى ليلة الجمعة ١٠
وحضر ومد يده نحو خصومه ورفع راية التضامن القومي بالكلية
التي القاها بعد انتخابه رئيسا .. وسعد هو مقترح اجراء
انتخاب اعضاء مكتب المجلس والواقع انه محق في اقتراحه لاننا
ما دمنا اعتبرنا انعقادنا دستوريا واصدرنا قرارات برلمانية فمن
الواجب علينا ان نبدأ بانتخاب الرئيس والوكيلين والسكرتيرين
والمراقبين تنفيذا لاحكام اللائحة الداخلية لكن هذا الاقتراح قد
اساء الاحرار الدستوريين وخصوصا عبد العزيز فهمي ومحمد
على وغيرهم لانهم لم يكونوا يريدون سعدا رئيسا وكانت حاجتهم
ان انتخابه رئيسا يعضب الملك ويعتبر تحديا له ولا اخليهم من
التأثر في هذه المسألة بالحزازات القديمة ، لاننا اذا كنا نريد
اعادة الدستور والحياة الدستورية فيجب علينا ان نحترم حكم
الاجلبية وهذا ما قاله لهم حينما اعترضوا على اجراء الانتخابات
لاننا اما ان نريد الدستور واما ان لا نريده ، فاذا كنا نريده حقا
فوجب علينا ان نحترم رأى الاجلبية ولا جدال ان اجلبية النواب
من السعديين فيجب دستوريا ووطنيا ان ترضى بسعد رئيسا
للمجلس واما ان تقبل الدستور في حزم منه ونرفض حكمه فيما
لا ترضاه فهذا ليس من الدستور في شيء وفعلنا تمت انتخابات
لمكتب المجلس والحق انها تدل على تغيير في نفسية سعد لانه

ونفى أن يكون الوكيلان غير سعديين وجعل وظائف السكرتارية والمراقبين موزعة بين السعديين وغير السعديين وفي ذلك ما فيه من روح المساواة والمهادنة - ويكتب الرافعي عن نتائج انعقاد البرلمان فيقول . كان لانعقاد البرلمان نتائج خطيرة جدا في حالة البلاد السياسية لانه كان بمثابة اعلان العصيان والتمرد على النظام الاستبدادي الذي تحكم به البلاد في ظل عصابة حزب الاتحاد والسراي والحق ان هذا العصيان قد اشتركت فيه كل طبقات الامة وكل الهيئات المفكرة في البلاد لانه ما من هيئة تحترم نفسها ترضى بأن يتحكم في مصير البلاد بضعة أفراد من ادنياء النفوس وطلاب المنافع الشخصية ، والواقع ان حزب الاتحاد قد ضرب ضربة قاتلة بهذه الحركة المباركة وابتدأ الشعوب الوطني يستيقظ من جديد ويهب بقوة ونشاط لمحاربة الظلم والاستبداد بعد ان مضى عليه زمن طويل وهو مصاب بالجمود والفتور ولا شك ان تضامن الاحزاب السياسية هو الذي هو الرأى العام وأخرجه من الجمود الذي كان غارقا فيه فهبه الرأى العام وشعور الامة بقوة التضامن وتضعف هيئة الحكومة الفردية هي من أهم النتائج التي تربت على انعقاد البرلمان . . ولقد ولد اتفاق الاحزاب قوة في الرأى العام لان الحكومة أحست بعزلتها بالسخط الذي وقع عليها وليس في مقدورها وهى في عزلتها وضعفها ان تقاوم طويلا قوة الامة في تضامنها واتحاد زعمائها . . وقد كسب الحزب الوطني من هذه الحركة مكسب ادبيا كبيرا وارتفع نجم أخى امين بعد ان كان مرموقا من الجماهير السعدية بعين السخط فالان شعروا بأن دعوته هي التي أدت الى انعقاد البرلمان واتحاد كلمة الامة قاله يرجع الفضل في هذه الحركة المباركة والان شعروا بانهم كانوا ظالمين في اتهامه والسخط عليه وهكذا لا يلبث الحق أن يعلو ويتغلب على العقبات والدسائس والباطيل التي يلقيها الباطل في طريقه . .

مع الحرية بلا حدود

كان أمين الرافعي من اصدق المؤمنين - بلا حدود - بالحرية ، حرية الكتابة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع وحرية التعبير والحرية الشخصية وشتى انواع الحريات ولم يكن الرافعي يكافح من أجل تحقيق الحرية له وحده أو للذين يقفون معه بل لخصومه أيضا فالحریات هي مقومات الحياة ولا يمكن أن يحرم منها أحد . . ولم يكن الرافعي يثور ضد تعطيل الصحف الوطنية التي يعمل بها ، أو ضد اتخاذ الإجراءات غير العادية ضد الصحفيين الذين يؤمنون بمبدئه فحسب وإنما كان يثور ضد تعطيل الصحف المعارضة و ضد اتخاذ الإجراءات غير العادية تجاه لخصومه من الصحفيين أيضا . فتمطيل الصحافة في رأى أمين الرافعي عمل جائر ، والزج بالكتاب والصحفيين في السجون والمعتقلات لا يمكن ان يقضى على الآراء التي يدافعون عنها - ولو كانت آراء خاطئة وإنما الذى يجدى ويفيد هو الاقناع ، فبدلاً من أن تعطل صحيفة ما يمكنك أن توضح للرأى العام أخطاء اتجاهها وبدلاً من أن تزج بصحفى فى سجن أو معتقل يمكنك أن تقضى على آرائه الخاطئة عن طريق الحوار والناقشة . كتب الرافعي في ٦ سبتمبر ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان نحن والحكومة أكد فيها وجود هوة سحيقة بين الأمة والحكومة « فالحكومة تهزأ بالرأى العام وتسخر منه وتعد الأمة عدوة لها لا تستحق رحمة ولا عطفاً والرأى العام ساخط على الحكومة يرفع أصوات الاستياء من

أعمالها فتذهب هذه الأصوات أدراج الرياح » ويتساءل الرافعي في نهاية مقالة : هل هناك ثورة مدبرة ؟ احرم على الناس المطالبة بحق كان لهم من قبل ؟ أم ماذا جرى حتى آلت الأحوال الى ما نحن عليه الآن » .

وكتب الرافعي في ٢٥ مارس سنة ١٩١٠ في ذكرى صدور قانون المطبوعات يقول : « عام انقضى على صدور هذا القانون والامة ثن منه وتشكو من تطبيقه فلا يسمع لها أحد نداء » ثم قال « ان الحرية مهما صودرت وضويقت في مكانها فلا يتواري ضيؤها ولا تغرب شمسها ولا تلبث أن يزيد لها الحجب ظهورا ولا يفعل بها الضغط الا انباء وانباءنا » .

وعندما يناقش الرافعي السير جورست المعتمد البريطاني في مصر في تقريره السنوي قال : يجب أن تكون الصحافة حرة لأنها تعبر عن رأى الأمة بأسرها لأنها خلاصة أفكار الطبقة الجاهلة والطبقة المتعلمة وهي المرأة التي يرى كل انسان فيها نفسه بجانب غيره فيقارنها بمن مواها ويصدر حكمه بعد ذلك .

كانت جريدة الأخبار تعادى رأى العام ويوم أن نزل الإيطاليون الى شاطئ طرابلس كتبت تقول : « ادخلوها بسلام آمنين » ولكن يوم أن عطلت كتب الرافعي في ٣ مارس سنة ١٩١٢ في صحيفة الأفكار يقول : ان ديدن الأخبار التصفيق لكل جديد لقانون العقوبات والتشفي من كل جريدة وطنية ينالها نصيب من هذا القانون ولكن ذلك كله لا يبرر قرار الداخلية القاضي بتعطيلها شهرين ، لأننا نبغض تطبيق القوانين الاستثنائية حتى على لخصومنا السياسيين وما دامت خطتنا انتقاد مبدا من المبادئ وجب علينا ان لا ننظر للأشخاص ولا نلجأ الى الشتائم كما يفعل قهقرنا - ان قانون المطبوعات ما وضع الا لزمن الثورة فليس له مسوغ الآن بأى حال من الأحوال ولقد رفعت جميع طبقات الأمة صوتها بالاستيلاء منه مطالبة بالفائه فمجلس الشورى

طلب الغاءه والجمعية العمومية طلبت بالاجماع الغاءه وكذلك
الاحزاب وجميع الهيئات التى فى مصر فلا معنى اذا لبقاء سيفه
على الرؤوس لا معنى لأن تكون الصحف مهددة بضرباته القاتلة
فبينما القلم يخط اليوم ما شاء واذا بنا نراه فى الغد محطما
ليس هذا هو الذى تطلبه أمة تنشد الحرية وليس هذا ما يتفق
والقرن العشرين وليس هذا آية من آيات المدنية .

وعندما عطلت صحيفة وادى النيل كتب الرافعى فى العلم
١٨ ابريل سنة ١٩١٢ مقالا عنيفا تحدث فيه عن تعطيل « مصر
الفتاه » تعطيلأ أديا ، كما تحدث عن تعطيل « الشعب »
و « الاخبار » و « وادى النيل » وقال ان هذه التصرفات لا تفيد
الا شيئا واحدا وهو أن يمنع الكتاب عن توجيه كلمة انتقاد
للحكم . ولم يكن الرافعى يدافع بقط عن حرية الصحافة بل كان
يدافع عن حرية التعبير بشتى صورها ، كتب فى ٥ فبراير ١٩١١
فى « العلم » ينقد التضييق على التمثيل فقال : وضع بعضهم رواية
تمثيلية عن حياة نابليون فى جزيرة هيسلانة عندما كان أسيرا
لاكتلرا قبل موته وابان فيها المعاملة التى عومل بها ثم عرضها على
نظارة الداخلية وبعد فحصها رفضت الترخيص له بتمثيلها ونحن
نعجب لهذا التصرف الاستبدادى لأنه ليس هناك قانون يخول
الداخلية فحص الروايات قبل تمثيلها للتخخيص بما يوافقها
ورفض ما لا يتفق مع آرائها ، ولا ريب فى أن تداخل الداخلية
فى أمر التمثيل بهذه الصفة أى بغير حق شرعى يجعلنا نعتبر
أنفسنا فى بلد تقام فيه الأحكام العرفية لأننا لا ندرى كيف تحجز
الحكومة على حريات التمثيل هذا الحجر الغريب ؟ ومن حولها
تلك السلطة الاستبدادية وما هو القانون الذى تستمد منه ذلك ؟
هذا ما نسال عنه عطوفة ناظر الداخلية الذى صرح فى أول
عهد الوزارة السعيدية (الحرة) بأنه يعتبر الحرية حقاً طبيعياً
للأمة وبمقت وسائل الضبط ، فان هذه الحرية ما عطوفة الوزير
ونحن نرى ركنها منها يقبر بلا قانون أو لائحة بعد ما قبرت الأركان

الآخري . لقد ملكتنا الحيرة يا عطوفة الوزير من هذه التصرفات التي ما كنا نسمع بها قبل الآن . يوعز الى الممثلين بعدم تمثيل بعض الروايات ورغم الكتاب على عرض رواياتهم على الداخلية قبل تمثيلها وترفض هذه النظارة الاذن بتمثيلها واذا اراد احدهم استئجار ملهى من الملاهي أو أى محل عمومي آخر لاقامة احتفال أو غيره منع من ذلك وأبى عليه صاحب المكان ما يريد الا اذا حصل على تصريح من الحكمداوية . . يحدث كل ذلك وأكثر منه بغير قانون ينص عليه فاذا سألنا عن مصدره أو المسوغ له قالوا لنا أوامر سرية صدرت ويجب أن يجرى العمل بها ولو أنصفوا لقالوا انها احكام عرفية مقامة فى البلد اننا لا يهمنا الرواية التي منع تمثيلها وانما يهمنا ذلك المبدأ الخطير الذى وضع للتضييق على البقية الباقية من اركان الحرية . وحول اشاعة ترددت بأن فى دار جريدة الشعب منشورات ثورية قال الرافعى : اذا أصبح للوشايات أى اثر ولو كان طفيفا فان الحرية الشخصية تكون مهددة بخطر عظيم لقد فتش مندوب الداخلية ومأمور قسم عابدين دار « الشعب » فلم يجدوا بها شيئا . ويتساءل الرافعى عقب استدعائه الى وزارة الداخلية - وما أكثر ما استدعته هذه الوزارة فى تلك الفترة - وقد وجهت اليه تهمة الكتابة فيما يدخل الشك فى صحة بلاغات الوكالة البريطانية : « ما الذى يمكن أن نفعله لنكون محل رضائهم ؟ لقد أصبحت أكثر مواد « الشعب » تحرر فى دوائر المراقبة أو الداخلية والتلفرافات الخصوصية التي ترسل إلينا لا تسلم الا بعد ان يصلح فيها الرقيب ما يصلح والتلفرافات العمومية وبلاغات الوكالات التي ترسل إلينا من قلم المطبوعات تأخذ من صحيفتنا قراغا كبيرا مع أننا غير ملزمين بنشرها فما الذى يتبقى بعد ذلك حتى نحاسب كل يوم حسانا عسيرا . اننا اليوم لا ننظر الى هذه الحرب نظير انجليزي أو فرنسي وعلى ذلك لا يجوز ان نحاسب باعتبارنا انجليز

وفرنسيين كما اتنا لا ننظر اليها نظر المائى وانما نحن نراها بعين
مصرية مستقلة » .

وتقوم الحرب العالمية الاولى وينهايتها تبدأ ثورة ١٩١٩ ولا
يستطيع الرافعى طوال عام ١٩١٩ ان يصدر صحيفة فيكتفى
بكتابة المقالات فى بعض الصحف الصديقة وعند ما ساعدته ظروفه
فاصدر « الاخبار » فى فبراير سنة ١٩٢٠ حالت الرقابة بينه وبين
ما يريد ان يقوله وسقط سيف الرقابة ويودع الرافعى
الرقابة فى ١٥-٥-١٩٢٠ بكلمة يحمده فيها الله على ما انعم به
علينا من جلاء الرقابة على الصحف . ولا ينسى الرافعى ان يحذر
من أى اعتداء على حرية الراى او المساس بها ، فحرية الراى
يجب ان تكون مقدسة محترمة .

وفى دراسات الرافعى عن الدستور يؤكد على ضرورة الحرص
على الحريات وقد كان الرافعى اول من نبه الى الخطر الجسيم
الذى جاء فى الدستور عندما نص على ان انذار الصحف او وقفها
او الفائها بالطريق الادارى محظور الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية
النظام الاجتماعى . وقال ان هذه العبارة الاخيرة قد سلبت
الصحافة حريتها الصحيحة، لأن محاسبة الصحف بالطريق الادارى
انما هو قضاء على الصحافة وحريتها ولا سيما اذا استخدم فى هذا
السييل نص مبهم غامض مرن لا حدود له ولا قيود اذ ان وقاية
النظام الاجتماعى يمكن تطبيقها على كثير من الامور ، ان تدخل
الادارة فى شئون الصحف لا سيما فيما يتعلق بحياتها وموتها انما
هو تدخل سىء المغبة يطعن الحرية طعنا قاتلا ممها كانت الاسباب
الداعية لهذا التدخل لانه تدخل لا مبرر له اذ حرية الصحافة
تحتم ان يكون حساب الصحف من حق القضاء وحده اما الطريق
الادارى فانه طريق استبدادى محض ولا يمكن التخلص من
اخطائه الفظيعة ولا من شهواته السياسية ولا من اغراضه
الانتقامية ، ولقد وجدت البلشفية فى جميع أنحاء أوروبا ومع ذلك
لم نسمع بان حكوماتها الدستورية ادخلت فى دساتيرها ذلك

الاستثناء الموجود في دستورنا المصرى أو فكرت في تعطيل الصحف أو وقفها بالطريق الإدارى وكم هناك من صحف تقف اعمدتها لنشر الفكرة الشيوعية ومع ذلك فإنها إذا خالفت القوانين لا تجرؤ الإدارة على التدخل في شأنها بل يعهد بأمرها إلى القضاء وحده فهو الذى يفصل في جميع جرائم الصحافة بل أن كثيرا من البلاد قررت حرصا على حرية الصحافة أن لا ينفرد القضاء بمحاكمة الصحفيين وإنما يقضى هذا القضاء بناء على قرار هيئة من المحلفين وقد بالغ الشارع الفرنسى في احترام هذا المبدأ إلى حد أنه حتم عدم رفع الدعوى المدنية إلا أمام قضاة الدعوى الجنائية حتى يمنع الفصل في أية نقطة من نقاط الدعوى الصحفية بدون تدخل هيئة المحلفين فالتواري خلف خطر الدعوة البلشفية لبقاء سيف الطريق الإدارى مهددا للصحف بالموت وللحرية بالفناء إنما هى وسيلة يستحيل الدفاع عنها فالقضاء هو الهيئة الوحيدة التى يجب أن تحاسب الصحف على ما تنشر والقانون العام هو وحده الذى يرجع إليه لمعرفة الجرائم المعاقب عليها . »

وروى الشاعر أحمد محرم حادثة يتجلى فيها إيمان الراحل بحرية النشر فقال . أردت يوما أن أكتب مقالا عن بعض الصحف الأسبوعية التى أغرقت في نشر الفضائح ولما عرضت نيتي على أمين الراحل وأظهرته على مقال لبعض الزميلات من كبريات الصحف ألححت فيه بشدة طالبة وضع تشريع قال لى بلهجة الغاضب المشفق : أكتب ما تشاء ولكن لا تطلب وضع تشريع يقيد حرية الكتابة لأننا مرهقون بالقيود ، ولأننا نطلب الحرية مطلقة بلا قيود ، قلت ولكن الحرية المطلقة لا وجود لها فقال وهل للحياة قوانين تحددها أنها تجرى على سنن من الشدوذاً وحسب الحياة أن تكون بريئة لتكون صالحة قلت وماذا يمكن أن يصد هذه الصحف عن نشر الفضائح أن لم يسن قانون يحصرم الخوض في الشخصيات ، فقال . « الضمير ، هو الشريعة فخاطبت

ضمائر زملائنا اصحاب ومحررى الصحف الاسبوعية الجريئة على العلاقات الشخصية وعلى حوادث ما وراء الستار ، وترفق فى مناشدتهم فقد تنال باللين ما لا تناله بالعنف ، وسيلنا هو النصيحة وما كانت سبيلنا ان نستعين بالقوانين على تقييد الحريات لان القوانين تفسر وفق الاهواء ولانها قد وضعت بحيث تتخذ يوما من الايام الة للارهاق والانتقام ؟ فاقنعت بوجهة نظره واقتنعت بان الرافعى اكبر مشرع معاصر وكنت اظنه متفقها فى القانون فاذا بى اراء فقيها فى علوم الحياة ، ولم يغب عنى ان المغفور له كان يحب الحرية لخصومه وخصوم المجتمع وللأمم المهضومة كما يحبها لنفسه : الحرية التى كان يدعو اليها الراحل الحليل حرية تقوم على الفضيلة وعلى الانسانية وعلى العدل لا حرية كتلك التى نفهمها ولكنها حرية يفهما الرسل والانبياء ولم يكتب الرافعى كلمة واحدة ضد حرية الاجتماعات وضد حرية المظاهرات فى الوقت الذى قذفت الجماهير الطائشة دار « الاخبار » ، بالحجارة وكادت تقتحمها عليه لانه يطلب الحرية للجميع ولانه يعتقد ان تقييد الحرية اذا حمى شخصه فربما اضر بالامة فليذهب هو فداء الامة ولتتولد الحرية على جثته وعلى جثث سواه اذا لزمتم الحال .

لم يكن عباس محمود العقاد ينتمى الى المدرسة الوطنية التى انتمى اليها الرافعى ولم يلتق العقاد والرافعى يوما فى عمل صحفى واحد ، ومع ذلك فان احدا لم يفهم امين الرافعى كما فهمه العقاد ، ولم ينجح فى تصوير شخصيته ، كما نجح العقاد . قال عباس محمود العقاد يصف الرافعى : كان امين مؤمنا وكفى بالايمان عزاء فى شقاء الحياة ، وكفى به شقاء فى عالم الكفاح فلولا ايمان الرجل لما القى بنفسه فى ميدانه ولولا ايمانه لعز عليه الصبر فى بلائه فللايمان عدوه والايمان حليفه وبالشقاء من ياتيه الكيد من حليفه الحميم وبالسعادة من ياتيه العون من عدوه المبين لم تكن للرافعى

آراء تحتل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا تترخص بشك ولا تأذن في هواده وكان حد العقيدة عنده أن يجهر بالراى فما هو الا ان يخالف فيه المخالفون حتى يفصح عنه ويشدد في تأييده وياخذ على المعارضين سبيل الشك في أصوله وفروعه وحتى يلتقى الراى والايمان ويمتزج اليقين والبرهان واذا بكل راى كأنه دين ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة واذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الراى فلا بقية فيها لراى سواه .. لقد عاش امين لرايه وعفيدته فكان مثلاً في الثبات وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة وفردا من الافراد الذين رفعوا هذه الصناعة النبيلة عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ١٠٠٠ فالرافعى لم تكن له كما يقول العقاد آراء تحتل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا تحتل الجدل والمناقشة والتجوير والتاويل وكما لا يجوز الخروج على الاصول فكذلك لا يجوز الخروج على الفروع ان معتقدات الرافعى كائن حى له قلبه وعقله وفكره واطرافه وكل ما للكائن الحى من اجزاء والاضرار بجزء من هذا الكائن مهما صغر هذا الجزء ومهما بدت عدم اهميته اضرار بجسم الكائن كله .

كان الرافعى - مثلا - يؤمن بأن شر ما اصاب مصر في قلبها هو الاحتلال البريطانى وكان لا يرى من دواء لهذا الداء الا الجلاء فائ لقاء أو اتفاق أو تعاون أو مصالحة مع المحتل بدون الجلاء اضرار بالقضية المصرية واى طريق لا يوصل مباشرة الى الجلاء طريق لا امان فيه ولا يمكن لاحد ان يطمئن اليه او يسير فيه ١٠٠٠ والرافعى - مثلا - كان يؤمن بالدستور والحياة النيابية القائمة على أسس ديمقراطية سليمة ، فإى عمل داخلى لا يستهدف الحصول على الدستور ولا يوصلنا مباشرة الى الحياة النيابية السليمة عمل لا يعتد به ولا خير فيه .. والرافعى - مثلا - يعتقد بحرية الصحافة في التعبير عن آمال الشعب وآلامه ومعتقداته ومطالبه

وأى قيد على هذه الحرية حتى ولو أسرفت بعض الصحف في الخروج عن واجبها وأساءت الى المهنة قيد باطل يجب العمل بكل قوة للتخلص منه .

والرافعى - مثلا - يؤمن بأن بريطانيا قد اغتصت مصر واحتلتها بالقوة والحيانة والخديعة وأى مفاوضة بين مصر وبريطانيا ينبغي أن تكون واضحة الاسس والمعامل بحيث تعترف بريطانيا أولا بحق مصر فى الحرية والاستقلال وبحيث تعلن بريطانيا عزمها على احترام حرية مصر واستقلالها وبعد ذلك يمكن اللقاء للبحث فى التفاصيل .

وكان الرافعى - مثلا - يؤمن بأن مركز القوة فى مصر ، فى دار المندوب السامى البريطانى فهو وحده الذى يحرك الخديو ، والسلطان والملك - كما يحرك الوزراء والساسة او بمعنى أدق كثير من السياسيين وهو - أى المعتمد البريطانى - مهما يكن اسمه ومهما يكن الاسلوب الذى يعتمد عليه فى الحكم لا يعمل الا لتنفيذ السياسة البريطانية الاستعمارية ولا يمكن ابدا لممثل بريطانيا فى مصر ان يعمل لفائدة مصر ، ولذلك فان أى تفاهم معه ، او تعاون واياه - او على الاقل سكوت على ما يرتكبه من جرائم يكون ضارا بالقضية الوطنية المصرية ، ومفيدا للمصالح الاستعمارية البريطانية وكان الرافعى مثلا - يعتقد بأن الاسرة المالكة التى تحكم مصر ، لا تستهدف الا مصالحها الشخصية ، ولما كان الاحتلال البريطانى قد جاء الى مصر باسم الدفاع عن هذه الاسرة وباسم حمايتها فان هذه الاسرة مستظل ملتصقة بالاستعمار ، معتمدة على قواته ، ولذلك فان محاربة الاستعمار البريطانى والقضاء عليه انما يعنى الاستفادة من التناقضات الموجودة بين المعتمد البريطانى وبين الخديو عباس حلمى الثانى لاضعاف السلطتين الشرعية والفعلية معا .

وكان للرافعى معتقدات كثيرة خاصة بالسودان والجيش

المصري والحزب الوطني ولم تكن هذه المعتقدات تتبدل او تتغير بتغيير الظروف وتبدلها ، لقد كان في مصر معتمدون عديدون كرومر وجروست وكشنر وونجت والنبى ولويد جورج وكان في ايديهم كل السلطة وكل الجاه وكانوا يختلفون في اساليبهم كما كانوا يختلفون في طرق معاملتهم للشعب ، ومع ذلك لم يتخلف الرافعى عن مهاجمتهم جميعا وهم في مراكز السلطة ولم يفف من واحد منهم يوما ما وقف المسألة او المعادنة .

بينما كانت لجنة الدستور تعمل لاعداد الدستور كان الرافعى يكتب مقالات عديدة ، صريحة وجريئة حول سلطة الملك وكيف يجب « أن يملك ولا يحكم » وكيف يجب أن يباشر عمله عن طريق وزرائه ، وكيف يجب أن تتحمل الوزارة المسؤولية كاملة بحيث لا يكون للملك الا التصديق على القرارات وكيف يجب الا يملك الملك سلطة الاشراف على المعاهد الدينية وكيف يجب الا يكون له حق منح الرتب والنياشين الا عن طريق الوزارة المسؤولة امام البرلمان و...و... وقد دخل الرافعى في صدام مباشر مع الملك عندما أصر الملك على السفر الى أوروبا لاجراء مفاوضات مع بريطانيا دون أن يصحبه رئيس وزرائه كما دخل في صدام مباشر معه في موضوع حسن نشات باشا وكيل الديوان الملكى بالنيابة الذى كان يسير الوزارة من مكتبه في السراى وكذلك في موضوع المخصصات الملكية واستبدال تفتيش بشيش وسراى الزعفران وكان الرافعى كمحام قدير يعتمد في كل ما يكتبه على القانون فلم تستطيع الحكومات الاستبدادية أن توجه اليه تهمة العيب في الدات الملكية التى وجهتها الى غيره .

في منتصف يونيه سنة ١٩٢٥ كتب الرافعى عن استبدال سراى الزعفران بتفتيش بشيش وذكر ما يتردد على السنة الشعب كما ذكر ما تردده الحكومة حول عدالة الصفقة وقال الرافعى ان ايراد التفتيش يساوى أربعة امثال ايراد السراى وان الاعتماد

على الايراد في تثمين قيمة التفتيش لا يمكن أن يكون مبررا للصفقة
وى ديسمبر سنة ١٩٢٥ بلغت فضائح حسن نشأت باشا في القصر
فروتها وأصبح الراى العام مستاء جدا لمواقفه المعادية للشعب
فأراد المعتمد البريطاني الجديد جورج لويد في مستهل عمله ان
يكتسب أرضا شعبية فتدخل لاقالة حسن نشأت من منصبه .
ورغم أن الشعب كان مستاء لهذا التدخل الا أن اقضاء حسن
نشأت عن السراى كان له رنة فرح وكان مما قاله الرافعى عن
اخراج حسن نشأت باشا ، انتهى دور من أدوار الازمة الحاضرة
بخروج نشأت باشا من القصر الملكى وقد كانت البلاد تمنى من
زمن طويل وقوع هذا الحادث لان نشأت باشا استخدم منصبه في
غير ما انشئ له وكان اكبر خصم للدستور والد عدو للحياة
البرلمانية حارب نشأت باشا الدستور والحياة البرلمانية لانه اراد
ان يسيطر على البلاد ويتحكم في شئونها ويأمر وينهى في كل
امورها .

لقد كان أعضاء الوزارة الاتحادية آلات في يده يلعب بهم كيف
يشاء ويحركهم كيف يملئ عليه هواه ، لقد كانوا عبيدا له خاضعين
لا يعصون أمرا ولا يرفضون له اشارة فكانت النتيجة الويلة ان
فردا واحدا هو نشأت ، أصبح الكل في الكل وأصبحت شئون
البلاد في قبضته وبينما كان الملك فؤاد يستعد للسفر الى اوربا
اتار الرافعى موضوع هذه الرحلة في اكثر من مرة اتسمت بالعنف
وخاصة عندما طلب من مجلس النواب اعتماد مبلغ ٢٠٠.٠٠٠ في
ميزانية ديوان الملك لتفقات الرحلة وعندما ناقش مجلس النواب
المخصصات والمرتبات الواردة في ميزانية الديوان الملكى قال
الرافعى : « ان خطة الاسراف والتبذير أصبحت عظيمة الضرر
على البلاد ولا سيما في الظروف الحاضرة التى قلت فيها ايراداتنا
فاذا لم نعمل بحزم وعزم على تقليل نفقاتنا كان علينا ان نواجه
ازمة مالية خطيرة لا ندرى كيف نتغلب عليها ولم يعد خافيا على

أحد أن القسم الخاص بمرتبات ومخصصات ديوان جلالة الملك تتضخم تضخماً لا يتناسب مطلقاً مع إيراداتنا وأشار الراجعي إلى الزيادة المطردة التي طرأت في السنوات الأخيرة على المخصصات الملكية حتى أصبحت ٦.٣٦٩٩ جنيهاً مصرياً وهي زيادة فاحشة ليس لها ما يبررها » كما أشار الراجعي إلى التخفيض الذي اقترحه اللجنة المالية فقال أنه تخفيض أكثره تصوري ، وأشار الراجعي إلى فداحة المبالغ التي تنفق على إصلاح السرايات الملكية والمبالغ التي زادت بسبب شراء قصرى المنتزه والقبة لسكنى جالة الملك بمبلغ ٣٢٧ر٢٢٢ جنيهاً وأشار الراجعي إلى اقتراح حافظ بك رمضان الذى يقضى بأن تعتبر سراى عابدين وسراى رأس التين وحدهما مقراً للجالس على العرش ولا تتكلف ميزانية الدولة غير المصاريف اللازمة لهاتين السرايتين لأن هذه هى الطريقة الأولى لسد هذه البالوعة التى تبتلع ميزانية الدولة ويوضح حد لتلك المصاريف الطائلة التى لا فائدة منها وأشار إلى ما ذكره مصطفى الشوربجى من أنه ليس هناك مثل قاطع على سياسة الاسراف مثل ما ينفق على الباب الخاص بالركائب الملكية فقد حسب مجموع ما صرف فى هذا السبيل فى مدى ست سنوات فإذا به يقرب من نصف مليون جنيه فى حين أننا لم نر ثمة منفعة من هذه الركائب كما أشار إلى ما ذكره كامل حسين الأسىوطى من أن ما ينفق على هذا الجزء من الميزانية يذهب على الكياليات وليس فيه من الضروريات إلا جزء يسير جداً وينتقد الراجعي المجلس لأنه لم يوافق على ما ارتأته اللجنة المالية ولم يوافق على ملاحظات الاعضاء وإنما وافق على أن عهد إلى حكومة الملك النظر فى الملاحظات التى بينتها اللجنة المالية . وفى اختيار الوزارة لتكون مسئولة عن قسم المباني ابتداء من السنة المالية القادمة . وحول إصرار الملك فؤاد على عدم اصطحابه رئيس الوزارة معه فى رحلته إلى الخارج كتب الراجعي يقول : « أن اصطحاب جلالة الملك

وليس الحكومة أمر ضرورى لما فيه من احترام التقاليد الدستورية ولكن مجرد هذا الاصطحاب وحده لا يكفى لدفع الاخطار التى قد تترتب على مثل هذه الزيارة ومن أجل هذا كان حتما أن تطرح مسألة هذه الزيارة على بساط البحث فى مجلس النواب ووضع برنامج خاص لرئيس الوزراء فى هذه الزيارة لا يجوز له أن يتعداه حتى ولا يسمح له بإلغاء تصريحات قد يأخذها الانجليز علينا ويجعلونها دعامة يرتكنون عليها لتحقيق اغراضهم الاستعمارية ، وعندما-أحيلت صحيفة « السياسة » الى قاضى الاحالة تمهيدا لاحتلالها الى محكمة الخنايا بتهمة العيب فى الذات الملكية « كتب الرافعى أكثر من مقالة فى هذا الموضوع وأشار الى الرأى القائل بضرورة التفرقة بين ذات الملك وعمله وكيف أن القانون وقف عند حماية ذات الملك ولكنه لم يتعرض لحماية عمل من أعماله ولا سيما اذا كان لهذا العمل أساس بالدستور »

وبعد ذلك يأتى معتقد الرافعى الخاص بالمفاوضات بين مصر وبريطانيا وربما كان هذا المعتقد هو الذى حدد عمله السياسى منذ عام ١٩١٩ الى وفاته وبسبب هذا المعتقد خاض حربا ضارية ضد الوفد ، كما خاض معركة عنيفة ضد اخوانه واصدقائه وزملائه فى الحزب الوطنى الذين كانوا لا يرون رايه فى المفاوضات بصورة عامة . لقد كان الحزب الوطنى يتجه فى هذه النقطة الى التشدد الذى ما أبعدته من تشدد، وكان الحزب الوطنى قد اتخذ قرارا فى ١٩ ديسمبر ١٩١٩ يقضى بأن « الأمة لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب بأية حماية او وصاية او سيادة اجنبية او اى قيد يقيد هذا الاستقلال وانها لا ترضى بالمخاطرة مع أية هيئة بريطانية او غيرها الا اذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام واعلنت اعترافها رسميا وايدته بجلاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت اعلان الحماية ، اى ان الحزب الوطنى كان يطالب قبل

المفاوضة مع أية هيئة بريطانية بالاعتراف بالاستقلال التام من قبل انجلترا وتنفيذ هذا الاعتراف بالفعل ، وكان الوفد قد اشترط قبول التحفظات التي ادخلها الشعب على مشروع ملنر ، ثم عاد ، فرأى دخول المفاوضات بدون أى قيد أو شرط . وهذا ما جعل الرافعى يختلف وإياه . . فالرافعى اذن كان يقف موقفا وسطا بين الحزب الوطنى وبين الوفد فيشترط وضع أسس سليمة واضحة للمفاوضات بين مصر وبريطانيا الأمر الذى لا يقبله الوفد امعانا منه فى التساهل والأمر الذى لا يقبله الحزب الوطنى امعانا منه فى التشدد هذا الاعتقاد الراسخ الذى آمن به الرافعى منذ عام ١٩٢٠ لم يتخل عنه الى وفاته والجدير بالذكر ان الكتاب الوحيد الذى أخرجه أمين الرافعى كان عن مفاوضات الانجليز بشأن المسألة المصرية وقد طبعه ووزعه فى أواخر عام ١٩٢١ وقد تكلف هذا الكتاب ٣٧ جنيهها مصريا دفعها لصاحب مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز وقام الرافعى بتوزيع اعداد كبيرة من هذا الكتاب مجانا وكما سبق أن قلنا ان الرافعى بعد فشل مشروع ملنر ومفاوضات ملنر اخذ على عاتقه محاربة كل مفاوضات بين مصر وبريطانيا لا تقوم على أسس سليمة وواضحة وكان الرافعى أبعد السياسيين نظرا فيما يتعلق بالمفاوضات وربما لو اتبع السياسة المصريون ما كان ينادى به لما وقعوا فى المصيدة التى كانت بريطانيا تضعها لهم ، واحدا وراء الآخر ، وحزبا وراء حزب الى أن وقعوا جميعا - فيما عدا الحزب الوطنى - فى الفخ الأكبر الذى انتهى بمعاهدة ١٩٣٦ ، وكان الرافعى أول صحفى مصرى اهتم بالجيش المصرى وتولى الدفاع عنه ضد مؤامرات الاحتلال البريطانى (١)

وقد كان الرافعى بحق محامى القضية السودانية وما من مناسبة الا وحمل الرافعى على السياسة الانجليزية الاستعمارية فى السودان . . وفى ١٩ يناير من كل عام كان الرافعى يكتب

باستمرار عن اتفاقية السودان «١٨٩٩» وينادى ببطلانها بطلانا مطلقا ، وللرافعى مواقف مشهورة فى القضية السودانية وخاصة هند وضع دستور ١٩٢٣ ويعتبر عام ١٩٢٤ عام السودان فى مصر ومعظم مقالات الرافعى فى ذلك العام كانت عن السودان وللحق وللتاريخ أيضا - لم تكن نظرة الرافعى الى قضية السودان تختلف أى اختلاف عن قضية مصر بل لقد كان يرى أن القضية الوطنية لوادى النيل هى قضية مصرية سودانية وكان الرافعى حريصا على اعتبار مصر والسودان دولة واحدة لكل جزء الحق فى الجزء الآخر والسودانيين كما للمصريين فى وادى النيل نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .. وكان الرافعى يعلم حق العلم أن الاستعمار التركى قد أساء الى مصر كما أساء الى السودان وأن الاستعمار البريطانى قد عمل على تشويه الوجود المصرى فى السودان . ومما قاله الرافعى فى هذا الخصوص لقد ابتلىنا فى مصر بحكام ينسبون الى مصر ظلما وعدوانا كما ابتلى السودان أيضا فى نفس الوقت بحكام ينسبون أيضا الى مصر ظلما وعدوانا وكان من رأى الرافعى - وكان يكرره باستمرار - أن انجلترا يجب أن تخرج من مصر ، ومن السودان ، ويترك لأبناء النيل وحدهم بناء دولتهم دون تدخل أو وصاية من بريطانيا التى لا تستهدف إلا اضعاف كل من القطرين وتوسيع الشقة بين الآخرين « ولا يتسع المجال - فى هذا الفصل - للاحاطة بما كتبه الرافعى عن السودان فالمقالات كثيرة ومتعددة عن السودان والسياسة الانجليزية فى السودان وما صنعتها الحكومة البريطانية فى السودان ، وكان الرافعى الى جانب اهتمامه بالمقالات التى كان يكتبها بقلمه عن السودان يعطى أخبار السودان وحركاته الوطنية وانتفاضاته الشعبية التى كانت تقوم بين حين وآخر أهمية كبرى فى الصحف التى كان يصدرها .»

وفى الدراسات العديدة التى كتبها الرافعى عن الدستور

مقالات متنوعة عن السودان ومما قاله الرافعى فى هذه المقالات ؛
لقد كان من حق الشعب الفاطن فى مصر والسودان ان يقرر مصيره
بنفسه بدون تدخل اية دولة اجنبية وان يضع لواءى النيل من
منبعه الى مصبه ما يشاء من الانظمة .

وكتب الرافعى فى ١١-٦-١٩٢٣ يقول : لقد شغل الوزراء
كثيرا بمسائل الترقيات والتعيينات وزيادة المرتبات وافرطوا فى
حضور الولايم والمآدب وسوا ان هناك مصالح وطنية يجب السهر
عليها وان الاهتمام بالسودان اعود على البلاد من حضور مادية
الاسطول البريطانى . وواصل الرافعى دفاعه عن السودان
وهجومه على الاستعمار البريطانى هناك وتبع اخبار الحركة
الوطنية السودانية ، وعندما اعتقل البطل السودانى على عبد
اللطيف نادى الرافعى فى ٢٨-٦-١٩٢٤ بارسال محامين مصريين
متطوعين للدفاع عنه وطلب من الوزارة تسهيل مهمة السفر لهؤلاء
المحامين ليتمكنوا من القيام بواجبهم الوطنى والقانونى .

وفى كلمات مختصرة كان الرافعى يؤمن بحق الشعوب ، كل
الشعوب ، فى الحرية والاستقلال والتخلص من الحكومات
الاستبدادية . . كان يؤمن بحرية الشعب اى شعب فى الثورة ضد
اى ظلم يقع عليه وكان فى مقالاته العديدة يحتفى بذكرى الثورات
الشعبية ويعطى اهمية حاصه للتورات التى قامت فى عصره .

معارك صحفية

كان أمين الرافعي مسالماً للفساية غير أنه كان ينقلب الى العكس ، اذا اعتقد للحظة ما اراد الصالح العام في خطر من قريب او بعيد وقد اشرنا فيما سبق الى بعض المعارك التي خاضها الرافعي ضد الشيخ علي يوسف - وكان وقتئذ من كبار رجال السياسة والصحافة بينما لم يكن الرافعي قد انهى بعد دراسته في مدرسة الحقوق الخديوية ونشير في هذا الفصل الى بعض معارك الرافعي ونسبها تجاوزاً بالمعارك لان الرافعي كان يدخلها مدعماً بكل أسلحته ويخوضها بكل ما يملك من قوة وعنف .. دخل في سبتمبر ١٩١١ معركة مع حزب الامة ومع صحيفة الجريدة رداً على مقال كان الاستاذ احمد لطفى السيد قد كتبه وأشار فيه الى حزب الامة قائلاً انه ليس حزب شعب ولا حزب جماعات . وقال الرافعي : كان جماعات الشعب أحقر من أن تنضم تحت لواء حزب الامة . لقد فات الاستاذ لطفى السيد أن هذه الجماعات هي عدة الامم وذخيرتها . وهي التي قوضت العروش وانتزعت التيجان من فوق الرؤوس وهي التي قضت على السلطات الفاصبة في كل العصور ، وهي التي قلبت أوروبا رأساً على عقب فأبدلت حكم الفرد بحكم الامة وهي التي اذا أرادت أمراً كانت ارادتها صحيحة لم يقف في وجهها أغنياء ولا أشرف . وحول ما قاله

لعلى السيد من اننا نعتقد انه لكى يحق لانجلترا أن تتخلى عن مصر لا بد من أن تتوافر شروط مخصوصة تلك الشروط التى تألف حزب الامة لتحقيقها وان سياستنا لم تتغير انها ترمى الى تحقيق غرض واحد وعظيم . هو أن يحصل المصريون على المجلس النيابى الذى نجد جميعا للوصول اليه بكل قلوبنا . حول ذلك قال الرافعى « ان هذا القول يظهر قائلة فى مظهر الذى يريد أن يكون انجليزيا اكثر من الانجليز انفسهم ان الامة كلها تطالب بالجللاء العاجل وترى سعادتها فى هذا الجللاء فما معنى وضع شروط له من جانب المصريين » ويدخل فى معركة عنيفة مع اسماعيل اباطة باشا بعد ان اشاد به وبوطنيته اكثر من مرة ويقول الرافعى ان مدحنا اياه فى بعض المواقف المحموده لا يمنعنا من ذمه اذا فعل ما يستحق الذم وهذا يدل على اننا لانظر الى نفس الشخص وانما ننظر الى عمله فان احسن اطربناه وان اساء تقدناه . وأشار الرافعى فى نقده لاسماعيل اباطة باشا الى اعتذاره عن قبول عضوية مجلس ادارة جمعية السلام بحجة ان له مصالح خصوصية كثيرة واذا ظهر فى مثل هذا العمل حاربه الانجليز واضروا بمصالحه الخصوصية » ورد مرة اخرى على ما قاله اباطه باشا بأن الحزب الوطنى ما هو الا قوة معنوية وكل ما لديه من تلك القوة القلم واللسان . ويسأل الرافعى اباطه باشا أن يذكر له اسم حزب من احزاب أوروبا له جيش ومدافع وحراب تنفذ أوامره وهل يستطيع اباطة باشا ان ينكر قوة القلم واللسان واثرها فى جميع الانقلابات التى حدثت منذ خلق العالم الى الان . ثم يقول الرافعى : ان قوة الاحزاب فى تضامنهم واحتفاظ اعضائها بعقيدتهم فاذا كانت تلك العقيدة قوية ثابتة تدفع الشخص الى تضحية مصالحه الشخصية وعدم اللجوء الى اعداء البلاد وكان الحزب قويا تبعها لتلك العقيدة فالعقيدة اذا تمكنت من النفوس استطاعت أن تهزم كل قوة تقف فى سبيلها وزلزلت الارض ومن عليها . وقال الرافعى « لقد اتقضى ذلك الزمن الذى كانت المصلحة تقاس فيه بالثروة وتقدر بالفدادين

من الأرض وأصبح كل فرد من أفراد الشعب له مصلحة تعادل مصلحة أكبر الناس جهاها وأعظمهم ثروة فالبلاد ليست بلاد الأغنياء وحدهم وإنما هي بلاد الشعب بأسره .

ويقول الرافعي معللا كثرة دخوله مع بعض السياسيين في معارك « لسنا من عشاق الانتقاد في المسائل السياسية وإنما نحن نلج هذا الباب مع خصومنا السياسيين مضطرين لا طانعين لأننا كنا نود ولا نزال نأمل أن تكون الأمة كلها يدا واحدة ضد الاحتلال تنفق جميع مجهوداتها على هذا الغرض ولا تفقد جزءا منها في تنفيذ آراء الذين يتبعون سياسة لا تنفع الأمة والبلاد . » وفيما يلي إحدى معارك أمين الرافعي :

تنشر الاخبار في ١٩٢٣ للرافعي كلمة عن فظائع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي تروى قصة رجل علق جسمه في سفوف وراح اثنان من الفرنسيين يتبادلان ضربه بكل قوة وعنف بسوطين طويلين فيكتب اليه أحد أصدقائه قائلا : لا تحزن على ما يجري في المغرب العربي على يد الاستعمار الفرنسي ففي مصر الكثير من هذه المآسي ويروى صاحب الرسالة قصة زوجة موظف انجليزي يسكن أمامه رات سجيننا يأكل طماطمه ملقاة على الأرض فأمرت الأومباشي الحارس بضربه بالكرباج الخ . . وينشر الرافعي الواقعة في الاخبار ١٥-١-١٩٢٣ طالبا من الحكومة التحقيق لان مهمة الصحفي - كما قال الرافعي - تقضي عليه الا يقف جامدا امام أية مظلمة ولا سيما اذا كان راويها موثوقا منه وعند هذا تنتهي مهمة الصحفي وتبدأ مهمة الحكومة وهي الكشف عن الحقيقة . ويستلم الرافعي للتحقيق ويسأل عما ورد في الرسالة فيجيب بأنه واثق من صدق الكاتب الذي بعث برسالته اليه وان على الحكومة ان تحقق ما تضمنته المقالة من الوقائع ويذكر للمحقق - مساعدة له - الجهة التي وقع فيها الحادث ويسأل الرافعي عن كاتب المقالة فيرفض بتاتا ان يذكر اسمه لان ذكره - كما جاء في محضر التحقيق مع الرافعي - مخالف لشرف الصحفي ، ومناهض

لابسط واجبات المهنة الصحفية وما دام صاحب الجريدة قد نشر شيئاً بغير توقيع صريح فلا يجوز مطالبتـه باظهار صاحب التوقيع . ويسمح للرافعى بالانصراف وبعد ايام طلب الى الرافعى ان يتجه الى المحافظة وفي المحافظة سلم ثلاث صور من المستند التالى وقد كتب باللغة الانجليزية : فى النية محاكمة امين بك الرافعى محرر الاخبار امام محكمة عسكرية بما يأتى : التهمة الاولى مخالفته الاحكام العرفية وذلك بان شر خبرا من شأنه ان يحدث الفزع والقلق بين المدينين وطبقة منهم بان نشر فى اليوم الخامس عشر من يناير سنة ١٩٢٣ بجريدة الاخبار الخطاب التالى . وتنتشر عريضة الاتهام الخطاب الذى نشره الاخبار وفيه طلب من مدير الاخبار الى المصريين ان يحتجوا على فرنسا على صـع بعض افرادها فى تونس فاسمع ما جرى هنا فى مصر منذ ايام اكل مسجونون من المساجين الدين يخدمون فى حديقة احد الموظفين الانجليز (والحديقة والدار للحكومة) طماطة واحدة ملقاه فما كان من السيدة زوجة الموظف الانجليزى وقد رات المسجون الا ان امرت الاومباشى الحارس ان يظل يضرب المسجون بالكرباج حتى تكلفه ان يكف فآلهه بسوطه الى ان شبعـت من النظر واشارت له بالكف ، وتنتهى الرسالة بكلمة من صاحبها « مثلاً » بان الحالة فى مصر افظع منها فى تونس والجنس اللطيف هنا من اولئك القوم صار قلبه بهذا الشكل . اما التهمة الثانية التى قدم بسببها الرافعى الى المحاكمة العسكرية بناء على عريضة الاتهام - فهى مخالفته قانون مصرى ، وذلك بأنه يبيع و يوزع ويحفظ للبيع فى محل عمومى - هكذا فى الاصل - مادة مطبوعة من شأنها اثارة احساسات الاحتقار او النفـض لطبقة من الاشخاص وذلك بان نشر الرسالة السالفة الذكر بجريدة الاخبار وهذه مخالفة لنصوص المادتين ١٤٨ ، ١٥٣ من قانون العقوبات الاهلى المصرى وبكون التوقيع : عن مدير القسم المخصوص هيو . و . هلمر ييه . ويتسلم الرافعى المستند ويطلب اليه الحضور الى

القسم المخصوص ويقول الرافعى : لا ندرى مسوغا لمحاكمة ناسا امام محكمة عسكرية على امور يذهبون الى انها واعمه تحب طائلة القانون المصرى فان لهذا القانون محاكم اهليه تطبعه على كل من يرتكب امورا تقع تحت طائلته ، فلماذا يتخطون هذه المحاكم القائمة بعملها ويلجأون الى المحاكم العسكرية واغرب من كل ذلك أن يتم هذا التخطى فى العهد الذى يسمونه بالاستقلال وفى العصر الذى يقولون فيه ان الانجليز تركوا للمصريين شئوبهم . ونشور الصحافة المصرية - بل الاجنبية فى مصر - لمحاكمة الرافعى محاكمة عسكرية وتقول صحيفة الليبرتيه « ان امين الرافعى من الصحفيين الذى تفخر بهم مهنتنا لسمو آرائه ونزاهه أسلوبه ويتصف دائما بالصدق والصواب ان امين الرافعى يشغل مكانا فى الصف الاول من كبراء هذه البلاد بحيث لا يسلم احد بانه فى الامكان ان يكون مهيجا » وتقول الجازيت « انه رجل ذو مبادئ ثابتة وقد كان أنصار الوزارات السابقة يصفونه دائما بانه خصم شريف وهو ينتقد كل وزارة تسيء الى مصر وقضية مصر » وتبدل سلطات الاحتلال البريطانى جهودا كبيرة لمعرفة كاتب الرسالة التى نشرها الرافعى ليقينها بان الرافعى لا يمكن ان يصطنع هذه الرسالة ويحاول كثير من اصدقاء الرافعى وقد راوا سلطات الاحتلال جادة فى محاكمته عسكريا ان يقبل الرافعى البوح باسم صاحب الرسالة ويرفض الرافعى رفضا باتا مفضلا السجن بل الموت على ان يخل بشرف المهنة ويكتب الرافعى فى الاخبار : « لسنا اول من قدم للمحاكمة العسكرية حتى فى عهد الاستقلال ولسنا اول من سخطت عليهم الوزارة لانهم يقولون لها الحق فى وجهها ولسنا اول من يتخذونه دليلا على ان سياسة الشدة لا تجدى نفعا ولسنا اول القائلين بأن المبادئ التى اختلطت بعظم الانسان ولحمه ودمه لا يمكن ان تضعف أو تتلاشى أو تتغير امام تدابير القوة ووسائل الاعتات » . ويختم كلمته بقوله تعالى « ام حسببتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم

مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه ألا نصر الله إلا أن نصر الله قريب » ٣١-١-١٩٢٣ ، ويشار
موضوع الطماطمه هذه في سبتمبر سنة ١٩٢٤ وكان الذى اثره
الاستاذ عباس محمود العقاد وكان قد دخل فى معركة مع الرافعى
بسبب موقف الرافعى من وزارة الشعب التى كان يؤيدها العقاد
وقد عثرت على نص الخطاب الذى ارسل الى الرافعى والذى
نشره فى الاخبار فى منتصف يناير سنة ١٩٢٣ كما عثرت على
خطاب آخر لصاحب هذه الرسالة قال فيه « كانما فرغت مصر
من متاعها وعاد قادتها وكتابها يصفون ما بينهم من الحساب
فرجعوا الى احفر الاشياء حقا لست اقدر أن ادخل فى نزاع بين
الاخبار والبلاغ فاسلم عرضى لاسنة الاقلام وحقا مرة اخرى
لست ابيح اسمى لينشر لا لانى جبان فلقد كتبت للاستاذ امين
بك حين حوكم ليوبح باسمى او ابوح انا به واتولى عنه فكان
يكتب الى بشجاعة بأنه يابى أن يبوح او ابوح انا باسمى واذا كان
المراد اقتناع الاستاذ العقاد فانا مستعد ان اقبله شخصيا واقتنعه
بما يرضى ، وينهى صاحب الرسالة رسالته بقوله : انى لا اريد
الإن اقلال راحة عائلة بلا فائدة ولا جدوى انى ما اظن مصريا
يصم امين بك بالجبن حتى يحتاج الى الشهود والادلة على
شجاعته فلا يحتاج النهار الى دليل » . ويقول صاحب الرسالة فى
حاتية له موجهة الى امين الرافعى « مررت عليك كوعدى فلم
اجدكم وكنت فى حاجة للاستاذ المازنى لاخلد المقالة ولضيق رقتى
سافرت للمنصورة وكتبت هذا وأنا فى منتهى التعب » .

كان الرافعى قد فاجأ الراى العام بنبا عودة الشيخ جاويش
الى مصر وطالب الحكومة بعدم التعرض له وتقوم قيامة صحف
الوفد ضد امين الرافعى وضد الشيخ عبد العزيز جاويش وكانت
معظم المقالات التى نشرتها الصحف الوفدية تتسم بالعنف وخاصة
تلك التى كتبها كاتب مقنع رفض أن يذكر اسمه ، ومما قاله امين
الرافعى فى هذا الخصوص « ان الحرية اذا انتهكت وجب على كل

وطنى ان يدافع عنها وان ينشئ في سبيل هذا الدفاع كل خصومة وكل حقد وكل ضراوه لاننا اذا كنا فتحلى عن واجب الدفاع عن الحرية لان المعتدى عليه من خصومنا كان معنى هذا ان الحرية ليست حقا للجميع وانما هى من نصيب فريق دون فريق آخر وفى هذا هدم لاقدس مبدا تركز عليه حياة الشعوب أضف الى ذلك ان الذين يشمتون اليوم بحصمهم لانه مسلوب الحرية لم يأخذوا على الدهر عهدا بأن تظل حريتهم مصونة الى الابد . . ان الحرية حق للجميع فيجب ان نطلبها لانفسنا وخصومنا وان نعمل على احترامها وان نناوى كل من تحدنه نفسه بالاعتداء عليها لان يجب ذلك الاعتداء اذا كان واقعا على اى خصم من الخصوم ويذهب الرافعى الى يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء ويتحدث اليه في موقف الحكومة طالبا منه عدم التعرض للشيخ جاويش اذا ظهر ويوافق رئيس الوزراء ويدعو الشيخ جاويش لمقابلته ويجيء الشيخ جاويش من الاسكندرية الى القاهرة بعد نداء وجهه اليه الرافعى على صفحات الاخبار ويقابل رئيس الوزراء الشيخ جاويش وامين الرافعى ويحمد الله امين الرافعى على ان الدسائس التى ارادها بعض خصوم الاستاذ قد اصابها الفشل المحقق .

لقد ظهر ان العاطفة الوطنية متغلغلة في النفوس وان فكرة الاتحاد قد ارتكزت على اقوى اساس فاصبح الباطل لا ياتيها من بين يديها ولا من خلفها . . وينتهز الرافعى هذه الفرصة فيكتب في ٢٠-١٢-٢٣ عن الخصومة السياسية وكيف يجب ان تكون شريفة لا تتعدى تمحيص الاراء المخالفة وتفنيدها وبيان اضرارها ان كان لها اضرار ويتساءل الرافعى هل من شرف الصحافة ان يستعمل كاتب قلمه في محاربة خصم يذود عن حريته ويدافع عن نفسه ويسعى في أن يتمتع بما له من حق كفلته له القوانين العامة وهو العودة الى الوطن » ثم يقول : « ألم يكن من الواجب الصحفي أن تدافعوا من حرية الخصم وعن حقوقه الوطنية حتى تعود اليه ثم تفعلوا به بعد ذلك ما تشاءون » (١٠)

ويدخل الرافعى فى معركة من أعنف المعارك التى خاضها فى حياته صد حسين رشدى رئيس الوراق المصرى أثناء الحرب العالمية الاولى وكانت بعض الصحف قد نشرت أثر وفاة اسماعيل أباطله باشا بعض صفحات من مذكراته ورأى رشدى باشا أن يصحح بعض ما جاء فى هذه المذكرات حول موقفه من اعلان الحماية وخلع الخديو عباس حلمى الثانى ورأى الرافعى ان يرد على رشدى باشا ويفند حججه الواحدة بعد الاخرى .

ويرسل رشدى باشا الى امين الرافعى الخطاب التالى - ٢٥ مارس سنة ١٩٢ - « سيدى مدير الاخبار : آثرتم ما طواه الماضى لمجرد قصد الاساءة الى احاديث قديمة صدرت منى فى بعض الجرائد فبفرض انى راجعت هذه الاحاديث قبل نشرها وانه لم يحتسب فيها بعض الاضافات فانها انما كانت من مستلزمات الخطة السياسية التى كنت رسمتها لنفسى لمصلحة البلاد فاننى كنت اعتقد أن مصلحة مصر تفضى بأن تتجنب البلاد كل عدوان للانجليز بل ان تقدم على مساعدتهم وتعلمون انتم حق العلم ان الذى دفعنى الى هذه التصريحات هو تلك الخطة السياسية تعلمون ذلك لاننى سبق ان نشرت تفاصيل الامر فى الجرائد ، حسن ومفيد أن يوجد فى البلاد حزب متطرف ولكن التطرف السياسى لم يخلق ياسيدى لهدم الرجال الذين يعول عليهم فى خدمة البلاد فهل مصر غنية بهؤلاء الرجال الى درجة تجعل شغلهم الشاغل هدم أمثالى مهما قل فى الماضى مقدار نصيبى فى خدمة البلاد ومهما قل فى المستقبل الامل فيه فان كنتم تعتقدون حقا ان مصلحة البلاد تقضى بهدمى فأريحوا انفسكم من هذا العناء فان الموت كفيل بتخليصكم منى قريبا اما عن الثلاثة الملايين التى قدمتها للانجليز رغم معارضتهم فانى آخذ على نفسى بكل ارتياح مسئولية ذلك امام التاريخ » ويرد الرافعى على خطاب رشدى باشا بقوله : ونحن نقول لدولة رشدى باشا انه أخطأ فهم

ما نقصده من الرد عليه فلا نحن نرمى الى الاساءة اليه كما أن من أبعد ما بدور يخلدنا ان نهلمه او نهلم غيره وانما الامر اهو من ذلك بكثير . لقد نزل رشدي باشا الى ميدان المساجلة والبحث ونشر ما انطوى من صحف التاريخ فهل يظن دولته ان موقفه هذا لا يستلزم اخذا وردا ولا يستتبع مناقشة وتمجيصا ؟ أم يريد دولته أن يقف الكتاب مكتوفى الابدى حيال ما ينشره ولو كانت هناك نقط تستوجب ردا او تتطلب إيضاحا ؟

ثم يقول الرافعي بفيت فكرة الهلم التي ينسبها اليها رشدي باشا ونحن نسال الله ان يغفر له ما رمانا به فى هذا الصدد فاننا لا نبغى هلم احد وانما نبغى تقرير الحقيقه ، والانتقاد شئ والهلم شئ آخر يادولة الباشا ، وتقرير الحقائق وحربه مناقضه الآراء امران لا يحملان على أى محمل سيئ . اما الموت الذى تحدث عنه دولة رشدي باشا فلم يكن للدكره محل فى مثل هذه المناقشة ونحن جميعا امام الموت سواء وغنى عن البيان اننا مهما اختلفنا مع دولة رشدي باشا فى الآراء أو فى تقرير الحقائق فان ذلك لا يمنعنا مطلقا من أن ندعو له بالصحة والعافيه وطول البقاء اننا لا نعرف فى خلافنا السياسى مع أى انسان عدا شخصيا ولا نضمم أى حق ل احد وانما نحن نكتب عن الفكرة مجردة عن شخصية أصحابها ولا نفى سوى الوصول الى الحقيقة التى نرجو ان نوفق لخدمتها . والله على ما نقول شهيد .

وقد دخل الرافعي فى معارك عنيفة مع الحكومة المصرية دفاعا عن حرية كثير من الزعماء العرب : احتجت الحكومة الايطالية ايام حكومة سعد على وجود بعض الزعماء الطرابلسيين فى القاهرة وطلبت اعتقالهم وتسليمهم للحكومة الايطالية وأعلن الرافعي ثورة عارمة ضد الحكومة لأنها وقفت موقفا متخاذلا من هؤلاء الزعماء وعندما ثار الرأى ووقف الى جانب هؤلاء الزعماء لم تشأ الحكومة تسليمهم وانما طلبت منهم مغادرة مصر واعتمد الرافعي على النص

الوارد في برقية لوكالة استيفاني الايطالية الشبيهة بالرسمية - حيث جاءت عبارة الطرد ، وسل الرافعي قلمه وهاجم الحكومة هجوما مرا قاثلا : ان ما حدث لم يكن سوى معنى الطرد وهذا ما يراه ماسا بكرامة مصر وعزتها القومية فضلا عن مجافاته للقوانين والعادات المرعية . وعندما أصدرت الحكومة أمرا بإبعاد الزعيم السوري الكبير عبد الرحمن شهبندر بناء على تدخل من الحكومة الفرنسية احنج الرافعي في مقالات عديدة على هذا الإبعاد وقال في بعض هذه المقالات ليس الدكتور شهبندر بالرجل المنكور القدر او المجهول الجاه ولقد كان في العراق فقبول من ملكه ووزرائه ونوابه بأعظم مظاهر التبجيل والتكريم ولما زار مجلس النواب العراقي حياه النواب وهو جالس في شرفات كبار الزائرين وهتفوا له اما في مصر المعروفة باكرام ضيوفها والتي يتسع صدرها حتى للجنة الوافدين عليها من الغرب فانه بطرد منها ولا تحتمل حكومتها ان يقيم اناما فيها لا عذر للحكومة في تصرفها الممقوت حيال هذا الزعيم السوري ان ابعاده ينافي أبسط قواعد الانسانية ويصم مصر بأفبح سمعة في جميع بلاد الشرق ويظهر الحكومة المصرية بانها آلة في يد الغير فعلى الحكومة ان تعدل عن هذا التصرف المعيب وان تسمح لهذا الزعيم بالبقاء في مصر كما يشاء ولعلنا نسمع غدا في مجلس النواب اصواتا تدافع عن سمعة مصر وكرامتها وتحمل الحكومة على سحب قرارها الاستبدادي الضار بالكرامة القومية (٢٧/٥/١٥) وتكون آخر معارك الرافعي وأرقها تلك التي كانت بينه وبين زميله ومسدقه الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني وكان قد انتقل الى العمل في حردة الاتحاد عندما عتب المازني على الاخيار لانها نسبت الى حزب الاتحاد محاربة الدستور .

الرافعى وتمثال نهضة مصر

كانت القضية المصرية تشغل باستمرار عقل الرافعى وقلبه والى جانب ذلك كانت له اهتمامات عديدة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والدينية فلم يكن الرافعى مجرد كاتب سياسى أو زعيم وطنى فحسب بل كان فى الوقت ذاته كاتباً يهتم بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والدينية كان له دور بارز فى التنظيمات النقابية كما كان له دور هام فى اخراج مشروع تمثال نهضة مصر ووضعه فى ميدان المحطة بالقاهرة ..

ترك المجال للاستاذ بدر الدين ابو غازى وزير الثقافة السابق ومؤرخ حياة فنانا «مختار» وابن شقيقته ليروى قصة تمثال نهضة مصر يقول : اولى صلات مصر بالتمثال جاء من جريدة الاخبار التى كان يصدرها المرحوم امين الرافعى ومن خلال مقالة من اربع مقالات نشرتها للاستاذ مجد الدين حفى ناصف الذى كان يدرس بباريس ومن خلال هذه المقالات جاء التعريف الاول بالتمثال وقد انطوى المقال الاخير على اشارات الى اهمية العناية بالفن وضرورة انشاء المتاحف والى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه فى ميدان عظيم من كل بلد .. وكان الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول قد سافر الى باريس للدعوة للقضية المصرية فتعرف اعضاء الوفد على مختار ووقفوا على جهوده

وشهدوا تمثاله قبل أن يعرضه فلما نشر مجد الدين حفى ناصف
معالانه اعقبه الدتور حافظ عيسى وكان ضمن أعضاء الوفد
الدين وفقوا على جهود محار بباريس فكتب يقترح على المرحوم
أمين الرافعى ان تقوم جريدة الاخبار بالدعوة لاكتتاب عام لاقامة
تمثال مختار فى أحد ميادين العاصمة ورحب المرحوم أمين الرافعى
بالفكره ونشر فى اليوم التالى بداء الاكتتاب تحت عنوان نهضة
مصر دعوة الى الامه المصريه واثار البعض المخاوف من ان تعترض
الحكومته على اقامة التمثال فرد المرحوم حافظ عيسى بأن التمثال
رمز يمثل الفلاحه واما الهول ولا يعقل ان ترفض حكومه اقامة
مثل هذا التمثال وساند الفكرة من أعضاء الوفد المصرى المرحومان
ويصا واصف وواصف غالى فنشر الاول مقالا مسهبا تحت عنوان
محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر ، ونشر الثانى مقالا تحت
عنوان واجبنا نحو مختار . وبدأت حركة الاكتتاب وكانت الانباء
قد حملت خبر قبول التمثال فى المعرض وتمييز لجنة التحكيم له
ضمن ٦٠ تمثالا قدمت للمعرض ومنح مختار شهادة شرف من
المعرض لان الجوائز الأخرى حجزت للفنانين الفرنسيين العائدين
من الحرب وعلى هذه الانعام - مقالات الصحف الأجنبية كالعيجارو
والستراسيون والكان والمجلة الحديثة للقانون عن مختار - نشط
الاكتتاب وارتفعت الحماسة . جموع صفار العمال والبيعة
الجائلين وتلاميذ صفار يبعثون برسائل تفيض بالحماسة ومعها
قرش هي كل مدخراتهم ، سيدات يهديهن حليهن من اجل اقامة
التمثال ومع هذه الرسائل كلمات وقصائد من الشعب صيغت من
حماسة الناس وكلها دعوة للتمثال ووصل هذا التيار الى جموع
الفلاحين فأخذت التبرعات تصل من جوف الكفور الى جريدة
الاخبار وهكذا ارتفع التمثال الى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق
بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية ..

وقد وجدت ضمن مخلفات الرافعى التى تسلمناها من
استاذنا عبد الرحمن الرافعى مجموعة من الوثائق الخاصة بتمثال

نهضة مصر . منها خطاب أرسله فى ٨ مايو ١٩٢١ الى عدلى يكن
باشا رئيس الوزارة يقول فيه . سيق ان قدمنا طلبا الى دولتكم
نخرجو فيه صدور - الامر للتصريح باقامة تمثال نهضة مصر من
صنع الحفار الاستاذ مختار فى ميدان المحطة بالقاهرة حيث انه
هو المكان الوحيد الذى يصلح له وحيث ان الضرورة تقضى
بمباشرة هذا العمل فى اقرب وقت لان العمال اللازمين قد
استحضروا من اوربا وهم باقون من غير عمل وليس من اليسور
ان تبدأ اعمالهم الا فى نفس المكان الذى ينشأ عليه التمثال وهذا
بالنظر لارتفاعه وعظم حجمه ولاتقاء نفقات النقل واطواره فيما
لو صنع فى غير المكان المعد له من قبل فيكون رجاؤنا الى دولتكم
صدور الامر لحصولنا على هذا التصريح وان شكرنا ليتضاعف
لدولتكم اذا صدرت هذه الاوامر فى اقرب وقت ممكن حتى
لا يزداد تعطيل العمال اكثر مما هو الآن . . وخطاب آخر ارسله
الرافعى فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٣ الى رئيس الوزراء يقول
فيه سبق لى ان تشرفت بمحادثة دولتكم بشأن تمثال نهضة مصر
الذى قررت وزارة دولة عدلى باشا اقامته فى ميدان محطة
القاهرة ثم تلتها وزارة دولة ثروت باشا فاعانت المشروع ماليا
بمبلغ قدره ثلاثة آلاف من الجنيهات فالحاقا بالحديث المذكور
احيط دولتكم علما بان المبلغ الذى قدمته الحكومة سابقا قد نفذ
وبيان حسابه عند حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك أمين
صندوق التمثال تقدمه الى دولتكم بمجرد الطلب كما قدمنا
للحكومة سابقا حساب المبالغ التى جمعت من طريق الاكتتاب .
ولقد اصبح التمثال على وشك ان يتم ولكن اتمامه يحتاج الى
معونة اخرى قدرها ٢٥١٠ جنيه على وجه التقريب فرجائى الذى
اتشرف بعرضه على دولتكم هو (اولا) ان تتولى الحكومة وضع
القاعدة التى سيقام عليها التمثال وانا مستعد لتقديم كل الرسوم
والمعلومات الفنية التى اعددتها لوضع القاعدة على النمط الملائم
للمثال وسأشارك المهندس الذى تكل اليه الحكومة القيام بهذه

المهمة فيما يقتضيه العمل من وجهته الفنية . (ثانيا ! ان تتكرم
دولتكم بتقرير ما تروونه بشأن مبلغ الالفين والخمسمائة من
الجنهيات التى يحتاج اليها اتمام التمثال نفسه خصوصا وقد
نفذ مبلغ الاعانة التى قررتها الحكومة سابقة مع استمرارنا فى
العمل حتى اليوم ومع النفقات الشهرية التى تبلغ ما يزيد على
اربعمائة من الجنهيات وهى مرتبات العمال آثمان المواد اللازمة
للعمل . هذا واللجنة على اتم استعداد لان تقبل اشراف الحكومة
على مابقى من الاعمال كما عرضنا ذلك على الحكومة السابقة
وتقبلوا يا صاحب الدولة مزيد اجلالى واخلاصى .. وخطاب آخر
من الرافعى الى رئيس الوزراء بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٢٣ يقول فيه
اتشرف بان ارفع الى دولتكم حسابا تفصيليا من حضرة صاحب
العزة فؤاد سلطان بك امين صندوق تمثال نهضة مصر مستخرجا
من دفاتر لجنة التمثال كطلب وزارة المالية عن مبلغ الالفين
وخمسمائة جنيهه التى طلبتها بوجه التقريب لاتمام التمثال وكنت
قدمت الى دولتكم بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٣ بيانا مثل هذا
راجيا اعتماد صرف هذا المبلغ ليتسنى لى اتمام هذا العمل الوطنى
بالسرعة التى تكفلها وجود النقدية محددا مبلغ الالفين وخمسمائة
جنيه باقل ما يمكن تقديره لانجاز هذا العمل الجسيم ولقد من
للآنزهاء الثلاثة اشهر دون البت فى صرف هذا المبلغ مما ترتب
عليه زيادة فى النفقات وتعطيل فى الاعمال وما كان يتطلبه العمل
من شراء الادوات الضرورية وغيرها فترون دولتكم من البيان
المذكور مقدار المبالغ الجسيمة التى يكلفها عمل التمثال خصوصا
وقد عاينتم دولتكم شخصا وكذلك حضرة صاحب المعالي وزير
الاشغال وحضرنا صاحب السعادة وكيل الخارجية ووكيل الاشغال
وغيرهم الاعمال الشاقة التى تمت الى اليوم ما برحنا منذ نصب
معين اعانتنا من مزاولتها ولا يخفى على دولتكم ان كل تأخير فى
صرف هذا المبلغ يكلف من الزمن والمال اكثر مما قدر له لاتمام
هذا التمثال اذ يترتب على التأخير زيادة المصاريف لذلك ارجو

من دولتكم اعتماد صرف المبلغ ٠٠ ويخطو المشروع خطوة كبيرة
فى إتمام وزارة الشعب حيث ينجح وبصا واصف فى الحصول
على قرار من مجلس النواب بفتح اعتماد بمبلغ ١٢ر٠٠٠ لمواجهة
نفقات اقامة التمثال (يوليو ١٩٢٤) وتلكا الحكومة فى العمل
بحجة النظر فى تعديل موضع التمثال فى اعقاب اقالة الوزارة
الشعبية ويكتب الراقى فى ١٤ - ٤ - ١٩٢٥ يقول : اصدت
وزارة الاشغال قرارا غريبا فيما يتعلق بتمثال نهضة مصر وحكاية
هذا التمثال تلخص فى أن الاستاذ محمود مختار صنعه ليكون
رمزا لنهضة مصر ثم عرضه فى معرض باريس فنال تقدير
المحكمين الذين منحوه الجائزة الجديرة به هنالك نبتت فى مصر
فكرة اقامة التمثال فى مصر وفتحت الأخبار باب الاكتساب
الشعبى لتنفيذ هذا المشروع فبلغ ما جمعته نحو ستة آلاف جنيه
ولم يقف الأمر عند اشتراك الشعب فى هذا العمل بل أن الحكومة
نفسها اشتركت فيه بمختلف الوسائل فقد طلبت لجنة التمثال
من وزارة دولة عدلى باشا اقامة هذا التمثال فى ميدان باب
الحديد وكان دولة ثروت باشا نائبا لرئيس مجلس الوزراء فى ذلك
الوقت فلم تتردد الحكومة فى اجابة هذا الطلب فشكرتها اللجنة
على ذلك بكتاب ارسله سعادة عبد الخالق باشا مذكور . فرد
- عليه دولة ثروت باشا بقوله : « أن ما أبدىتموه بكتابكم الخاص
بشكر الحكومة على ما قررته من اقامة تمثال نهضة مصر فى ميدان
باب الحديد بالقاهرة كان له اجمل وقع وأحسن أثر وإن الحكومة
لا تدخر وسعا فى تشجيع الأعمال والمشروعات العامة الناهضة
بالميلد الى الرقى العلمى والفنى » ٠٠ ثم تولى اشتراك الوزارات
الأخرى فى هذا العمل ففى عهد وزارة ، دولة يحيى باشا ابراهيم
تقرر أن تقوم الحكومة بنفقات نقل احجار التمثال من أسوان الى
ميدان باب الحديد والتبرع ببعض الأدوات مما بلغ مجموعه نحو
٤٥٠٠ جنيه وفى عهد وزارة دولة سعد باشا زغلول قرر البرلمان
فتح اعتماد بمبلغ ١٢ ألف جنيه لاتمام التمثال وكان معنى هذا

القرار الاستمرار فى العمل الى النهاية ولكن وزارة الاشغال طلعت علينا اخيرا بقرارها الغريب الذى يقضى بتأليف لجنة تفحص التمثال من جديد فاذا وافقت عليه كان لها الحق فى تقرير المكان الذى ينصب فيه .. ذلك قرار وزارة الاشغال وهو قرار ينطوى على العبث بإرادة الشعب والعبث بقرارات الوزارات السابقة والعبث بقرار البرلمان المصرى نفسه فهل تملك وزارة الاشغال الحاضرة من السلطة ما تستطيع به القيام بمثل هذا العبث الشنيع وهل اتمت الوزارة كل المشروعات التى لديها فلم تجد ما تشغل به الوقت سوى هدم ما اشتركت فى بنائه الامة والحكومة معاً ؟ حقا اننا لا نفهم تلك العقلية القريبة التى املت هذا القرار الشاذ فاننا على اى وجه نظرنا الى المسألة لا نجد اى مسوغ لذلك اللهم الا اذا كانت الاهواء وحدها هى التى يحلو لها التعطيل والهدم والتخريب من اجل ذلك نرى واجبا على وزارة الاشغال أن تعدل عن قرارها وتشتغل بما هو اجدى وانفع أما الخضوع للاهواء وأما الهدم والتخريب فتلك سياسة عقيمة وظل المشروع يتلصق طوال وزارة زيور باشا ولم يتحرك الا فى اثناء الوزارة الائتلافية التى اهتمت بالمشروع من جديد عام ١٩٢٦ . - ووافق البرلمان على تخصيص ثمانية الاف جنيه لاتمام التمثال وتعاقدت الوزارة مع مختار فى اقسطس سنة ١٩٢٧ على اتمام اقامة التمثال خلال ثلاثة عشر شهرا .. ولا يشهد الرافعى اذاحة الستار عن تمثال نهضة مصر الذى عمل طويلا من اجل اقامته فى هذا المكان لان اذاحة الستار عن التمثال لم يتم الا فى ١٠ مايو ١٩٢٨ اى بعد وفاة الرافعى ببضعة اشهر .

من بناء نقابة الصحفيين

وعن دور الرافعى فى انشاء التنظيمات الشعبية تقول ان الرافعى سد مطلع العرر العتيرين لمرس فاده الحزب الوطنى قد اولى اهتماما بالغا بالتنظيمات العمالية والطلابية وقد اشرفنا من قبل الى دوره فى انشاء نادى المدارس العليا الذى اختير عضوا بمجلس ادارته عن طلبة مدرسة الحقوق حتى تخرج منها فانتخب سكرتيرا له الى ان اغلقته السلطات العسكرية فى عام ١٩١٤ كما ان مقالات الرافعى عن العمال وحقوق العمال واضرابات العمال عديدة قد اختارت نقابة عمال الصناعات اليدوية وهى اهم النقابات المصرية امين الرافعى فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٣ عضوا بمجلس ادارتها .

اما نقابة الصحفيين فقد كان الرافعى من اوائل الذين دعوا الى انشائها ، وقد اشترك فى اول اجتماع نظم لهذا الغرض فى ١٩٠٩ ، بوصفه محررا باللواء ولم يكتب النجاح لهذه الدعوة بسبب تدخل المعتمد البريطانى غير ان الرافعى حمل لواء الدعوة الى انشاء نقابة الصحفيين فى عام ١٩١٩ وبين ايدينا ونحن نكتب هذا البحث القانون الاساسى لنقابة الصحافة المصرية عام ١٩١٩ المطبوع فى مطبعة البلاد بشارع نوبار والذى وضعه امين الرافعى .

والذين وجهوا الدعوة لانشاء نقابة الصحافة عام ١٩١٩ هم داود
بركات ، سعيد على ، اسكندر رسلان ، حافظ عوض ، جورج
طنوس ، وامين الرافعى ، وكان أول نقيب للصحافة هو جبرائيل تكلا
- الذى انتخب عامين متتالين على أن الحكومة لم تعترف بهذه النقابة
وظلت المحاولات تبذل من جانب الصحفيين وفى مقدمتهم أمين
الرافعى لكى يكون للنقابة كيانها الرسمى ، غير أن الحكومات كانت
دائما تقف لها بالمرصاد ثم سرى الضعف والتخاذل الى النقابة فى
آخر عام ١٩٢٢ بسبب انشقاق البلاد الى سعيدين وعدليين وتفتت
القوى الوطنية الى أن جاءت وزارة يحيى ابراهيم وشرع يعمل
فى اعداد سلسلة من القوانين الجائرة ، وفى مقدمتها قانون
خاص بالصحافة وتعديل قانون العفوبات فيما يتعلق بالصحافة . .
واحس الصحفيون بالخطر الذى تتعرض له المهنة فنجحت دعوة
الرافعى الجديدة بتشكيل هيئة تدافع عن الصحافة والصحفيين
ومن محاضر بعض جلسات اجتماعات الصحفيين وقد كتبت بخط
أمين الرافعى فى جلسة ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٣ اجتمع كل من عبد
القادر حمزة وحافظ عوض ورشيد رضا واميل زيدان واميل
الغورى كامل وابراهيم عيسى القادر المازنى ومحمود عزمى وامين
الرافعى وتباحث الجميع فى حالة الصحافة الحاضرة وقرروا دعوة
اصحاب الصحف اليومية بالصيغة التالية :

يجتمع اصحاب الصحف اليومية غدا (٣٠ اكتوبر) الساعة
السابعة مساء فوق بار اللواء للنظر فى موقف الصحافة امام قانون
المطبوعات وامام قانون الصحافة المنتظر وقد قرروا دعوتكم لحضور
الاجتماع ، فالرجو حضوركم أو انتدات من ينوب عنكم ويكتب
الرافعى بخطه جلسة هذا الاجتماع وفيه أن مستر راؤول كانفيه
يعتذر ويعطى موافقته على ما يقرره الحاضرون ويعطى صوته لأمين
الرافعى .

وعند افتتاح الجلسة عرض سيد بك كامل أن الدكتور حسين
هيكل اعتذر عن الحضور لان الدعوة سياسية ولا يملك تليبتها حتى

يأخذ رأى أعضاء حزبه ، وعلى ذلك فسيد بك كامل يحضر لا عن جريدة السياسة ولكن عن نفسه باعتباره صحفيا ويعرض على الهيئة مسألة تطبيق قانون المطبوعات بتعطيل الصحف والقانون الجديد الذى تشتغل الحكومة بسنه للصحافة وتقرر الهيئة ان انذار الصحف أو تعطيلها بالطريق الادارى مخالف للمبادئ الاساسية المقررة بالدستور ويقرر الصحفيون المجتمعون ان من واجبهم مطالبة الحكومة باحترام المبادئ الاساسية فى الدستور العام وعدم مخالفتها .

وبهذه المناسبة قرر المجتمعون أن اجتماعهم هذا ليس له صفة سياسية ، كما ذهب الى ذلك الدكتور حسين هيكى وبنى عليه امتناعه عن الحضور وانما هو اجتماع للمشتغلين بمهنة الصحافة للدفاع عن حقوقهم ورفع كل حيف يقع عليهم .. وقررت الهيئة مطالبه الحكومة أصليا بعدم وضع قانون للصحافة الآن بانتظار انعقاد البرلمان فاذا اصرت الحكومة على من هذا القانون الآن قبل انعقاد البرلمان فهذه الهيئة تطالبها بعرض مشروع قانونها على الصحفيين للوقوف على ملاحظاتهم عليه والعمل بها وتقرر الهيئة تكليف أمين الرافعى بكتابة قرار بهذا المعنى وتوقيعه من جميع الحاضرين ورفعها الى دولة رئيس الوزراء بواسطة أمين الرافعى وحافظ عوض والمسيو ليون كاسترو ، وتقف الاغراض الحزبية حجر عثرة أمام طريق انشاء نقابة للصحفيين ويتكون ما سمي بأسرة الصحافة .

وتحاول هذه الاسرة مرة أخرى فى ٢٦ مارس ١٩٢٥ انشاء نقابة للصحافة المصرية وبعد الرافعى مشروع القانون الجديد ويجرى العمل لتنشيط الانضمام الى هذه النقابة ودفع الاشتراكات وتوجيه الدعوة لحضور اجتماع الجمعية العمومية للنقابة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥ وتجتمع الجمعية العمومية وينتخب مجلس الادارة وتقر القانون وتسير النقابة الجديدة بخطى حثيثة وتدعى

في نوفمبر ١٩٢٦ الجمعية العمومية للنظر في مشروع « صندوق تعاون نقابة الصحافة العامة » ومن أغراض هذا الصندوق « الانفاق على أعضاء النقابة الذين تنزل بهم ضائقة مالية »

وتدعو النقابة الجديدة الى اضراب الصحف في ١٦ يوليو ١٩٢٥ وتبلغ كل التنظيمات الصحفية في العالم بهذا الاضراب الذي نجح نجاحا باهرا .

والجدير بالذكر ان نقابة الصحافة هذه كانت من المؤسسين لاتحاد الصحفيين العالمى في ٣ يوليو سنة ١٩٢٦ وكان الدكتور محمد حسين هيكل هو ممثل الصحافة المصرية فى أول اجتماع لهذا الاتحاد .

ويتجلى اهتمام الرافعى بالصحافة والصحفيين ونقابة الصحفيين والصحافة من اجابته على الاستفتاء الذى نظمته مجلة الهلال (العدد الاول عن سنة ١٩٢٣) واشركت فيه اعلام الصحافة وأرياب الاقلام وكان مما قاله الرافعى فى الرد على أسئلة الاستفتاء :

« كل من يقدم طلبا لاصدار صحيفة وتتوافر فيه الشروط الخاصة بشرف المهنة وبالكفاءة الصحفية يجب منحه هذا الحق ليكون الصحفي كالمحامى والطبيب متى حصل على شهادة الليسانس او الدبلوم اضطرت الحكومة ان تجيز له الاشتغال بمهنته . ومن رأى - محافظة على حرية الصحافة - ان تكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية كنقابة المحامين بكون من اختصاصها وحدها الفصل فى من له حق فى مزاوله الصحافة وعلى الادارة تنفيذ قراراتها فى هذا الشأن » -

من شخصيات التاريخ الفذة

يمكننا القول - فى ايجاز نرجو ألا يكون مغلا - بان حياة أمين الرافعى ننقسم فى جملتها الى عدة مراحل تنتهى كل واحدة منها بحدث هام له أثره البالغ فى تكوين الرافعى وفى خلق شخصيته وليس معنى ذلك ابدا أن كل مرحلة من هذه المراحل منفصلة عما سبقها أو تلاها فكل مرحلة ليست سوى تمهيد للمرحلة التى تتلوها وليست سوى تكملة للمرحلة التى سبقتها بحيث تجيء تلك المراحل كلها وكأنها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات لا تستطيع أن تفصل واحدة عن الاخرى . واولى هذه المراحل بدأت بسن التمييز عند الرافعى الذى ولد فى أعقاب الاجتلال البريطانى ورأى الجنود البريطانيين يخوذاتهم اللامعة واحذيتهم الثقيلة وصلفهم وكبرياتهم يجوبون شوارع القاهرة والزقازيق والاسكندرية وكل مدينة اتيجت له فرصة الوجود بها وينمو أمين الرافعى وينمو معه كراهيته للاحتلال الأجنبى الذى داس كرامة بلده بالنعال وراح يتحكم فى كل صغيرة وكبيرة من أمور شعبه الصبور المسالم . ويتجه الرافعى الى القراءة لعلها تنسيه الهموم والأحزان التى سيطرت على قلبه وقلوب زملائه ثم يتجه فيما بعد وبعد ان مكنته القراءة الجادة من الحصول على جزء من المعرفة الى الاجتماعات الصغيرة المغلفة التى كان يعقدها فى سرية تامة وفى غفلة عن

الجواسيس وجنود الاحتلال بعض الوطنيين الشرفاء الذين لم يفقدوا
الامل - رغم اكفهرار الجو وظلمته - في انقاذ بلدهم من المحتل
الاجنبى ونرى الرافعى وهو يوشك ان يكمل دراسته الثانوية
يشترك في بعض المهرجانات الوطنية والمظاهرات العامة التي
يحاربها العدو بكل ما يملك من وسائل ونراه يحطب مرة - وهو
الخجول - في احتفال السنة الهجرية وفي الاحتفال بالمولد النبوى
ثم نراه يتشجع أكثر وأكثر : فيحضر بعض الاجتماعات العامة التي
كان يعقدها مصطفى كامل بالاسكندرية ويرسل بعض المقالات التي
كتبها الى بعض الصحف تحمل اسماء مستعارة ولم يكده أمين الرافعى
ينهى دراسته الثانوية في عام ١٩٠٥ بعد ان تأخر أكثر من عام بسبب
المرض الذي كان يصيبه في وقت الامتحان حتى كان قد اختط
لنفسه خطة في الحياة هي العمل السياسى الوطنى تحت قيادة
مصطفى كامل وفى خلال السنوات الأربع التي قضاها أمين الرافعى
في مدرسة الحقوق كان سياسيا لامعا يكتب في غير أوقات
المذاكرة والامتحانات في اللواء كما يحضر باستمرار الاجتماعات
التي يعقدها مصطفى كامل في جريدة اللواء للمحررين العاملين في
اللواء ، ويقود الرافعى المظاهرات الصاخبة ضد مدير مدرسة
الحقوق الانجليزى وضد نظم التعليم الاستعمارية التي أريد
فرضها على كلية الحقوق وهو أحد ثلاثة كانوا يختارون كل عام
ابتداء من عام ١٩٠٦ لتمثيل طلبة مدرسة الحقوق في نادى
المدارس العليا وهو يخوض المارك الصحفية بأسلوب رشيق وعبرة
سلسلة وفكر مستنير ضد كبار الصحفيين والسياسيين كلطفى
السيد وعلى يوسف مما لفت اليه الأنظار وعندما تخرج أمين
الرافعى من مدرسة الحقوق لم يجد تعباً ولا نصيباً في شق طريقه
في الحياة لقد أهله نشاطه الصحفى والاجتماعى والطلابى السياسى
في مدرسة الحقوق الخديوية أن يكون بسرعة خسارة من أوائل
سياسى الحزب الوطنى كتابة في تلك المرحلة التي بدأت في عام
١٩٠٩ وانتهت بتشوب الحرب الأولى كان أمين الرافعى كاتب الحزب

الوطني الثاني بعد الشيخ عبد العزيز جاويش وخلال الفترات التي
سجن فيها الشيخ جاويش أو التي نفى فيها من مصر كان أمين
الرافعي الكاتب الأول للحزب الوطني حتى بعد أن استقال من العلم
وانشأ الشعب لم ينازعه أحد من رجال الحزب الوطني في زعامته
الصحفية بالرغم من كونه ليس رئيس تحرير جريدة العلم لسان
حال الحزب الوطني كان هناك اعتراف صريح وواضح ممن يؤيدون
أمين الرافعي في اللجنة الادارية للحزب الوطني ومن يعارضونه
بأنه اللسان الناطق والترجمان الصادق للحركة الوطنية وقد كان
الرافعي في هذه المرحلة من خيرة الكتاب المصريين على الإطلاق فهو
لم يكن يكتب الا عن فهم ودراسة وإيمان وهو لم يكن يكتب الا
بصدق وجراة وحماس ، ولذلك اعتبر الاجسراء الذي اتخذه
أمين الرافعي باغلاق جريدة الشعب أو سح الجرائد المصرية انتشارا
وأقواها نفوذا حتى لا تنشر قرار الحماية على مصر أخطر اجراء ووجهت
به سلطات الاحتلال في أعقاب اعلان الحماية على مصر وخلع الخديو
عباس والمجيء بالسلطان حسين ويدخل الرافعي كما سبق أن ذكرنا
السجن وينتقل من معتقل الى معتقل دون أن يتبدل له رأى أو
اعتقاد ويتحمل الرافعي في سجنه واعتقاله كل صنوف التعذيب
وسوء المعاملة وعندما يفرج عنه يطلب منه السلطان حسين أن يعيد
اصدار « الشعب » ويعده بكل مساعدة مالية ويرفض أمين الرافعي
بأبوابه وشمم أن يعيد اصدار الشعب بأمر السلطان قائلا ان الذي
يملك اصدار - الشعب قيادة الحزب الوطني ولا يستطيع الرافعي
- وهو المحامي القدير الذي يستطيع أن يبنى القصور من المحاماة
- أن يستمر في عمله كمحام أكثر من عام واحد ليتفرغ للدراسة
لايمانه بأن الليل يجب أن يعقبه النهار واعلان الاحكام العرفية
وتقبيد الحريات وملء السجون والمعتقلات بالإبرياء لا يمكن أن يدوم
الى الأبد اذن فلا بد للرافعي من أن يعد نفسه لذلك اليوم المقبل
الذي يفضب فيه الشعب لكرامته ويثور ضد من اغتصبوا حقوقه
وكادوا يفقدونه كل أمل في التقدم والحياة الحرة ولذك فان الرافعي

لم يكذب يعرف نبأ اعلان الهدنة حتى ابتدا يتحرك فيتصل بالقيادات الوطنية أو ماتبقى منها بفتح صفحات جديدة للزعماء والسياسيين الذين يعرفهم ويعرف أخطاءهم وانتهازيتهم وينغمز الرافعى فى أنون ثورة ١٩١٩ بكل ما يملك من قوة ويهب سعد زغلول زعيم هذه الثورة كل مالدته من جهد وعبقريه وكفاءة ومقدرة لقد وثق بسعد زغلول كما وثق به الشعب كله ولقد علق عليه الآمال الكبيرة كما علقها عليه الشعب بجميع فئاته وطوائفه ويصبح الرافعى كاتب الوفد الأول كما كان قبل قيام الحرب العالمية الأولى الكاتب الأول للحركة الوطنية ويختلف الى حد كبير مع قيادات حزبه الوطنى ويتعب الرافعى نفسيا بسبب هذا الاختلاف مع أحب الناس اليه ولكن الرجل وجد أن القضية المصرية اكبر من الأحزاب فآثر ان يقدم للملا نموذجا حيا طيبا جريئا ينسى كل شيء حتى ماضيه القريب فى سبيل ما يعتقد أنه الحق .

ويصل الرافعى الى القمة وتصبح البلاد وتمسى ولا هم لها الا انتظار ما سيقوله الرافعى فى الأحداث التى تمر بها وتتوالى تغرفات سعد زغلول وخطاباته الى الكاتب الشعبى القدير تطلب منه المزيد وتطلب من الآخرين ممن لهم حظوة عند الرافعى ان يشجعوه على المزيد وفجأة تبين للرجل ان الناس ليسوا كلهم مثله يسرون على خط واضح فالوفد الذى أعلن انه لن يقبل المفاوضات الا على أساس التحفظات التى أيدتها الأمة على مشروع ملنر يعلن عكس ماقاله من قبل ويعان رغبته فى الدخول فى المفاوضات بدون قيد أو شرط ويعلم أمين الرافعى مخالفته للوفد المصرى الذى انضم اليه أكثر من ٩٩٪ من أبناء الشعب ويجاهر الرافعى باختلافه فى الرأى مع سعد زغلول الزعيم الجماهيرى الذى كان فى ريف مصر ومدنها أشبه بالعبود ، يولد الطفل وهو يهتف بحياة سعد ، ينزل العجل الصغير من بطن أمه قائلا : سعد سعد حتى أوراق القول والتوت والقطن وبقة المحاصيل الزراعية تظهر وعليها عبارات عاش سعد عاش سعد ، الى غير ذلك من الترهات والاكاذيب ، وتنطلق

المظاهرات الدامية تهدد الرافعى ، تهدده فى جريدته ، فى بيته فى
أعز الناس اليه ولكن الرافعى لا يتراجع عما قاله فى الوفد ورئيسه
قيد أنملة فتستمر المظاهرات الدامية تحرق اعداد الأخبار فى وضع
النهار ويستولى المتعهد الوحيد للصحف فى مصر على نسخ الاخبار
كلها ليعيدها الى الرافعى كما هى لأنه يأخذ ما هو أكثر من الثمن
من جهات أخرى ويذهب الوسطاء الى الرافعى يرجونه أن يراف
بنفسه بولده بزوجه ، وأن يكف مجرد الكف عن معارضته
للوفا وللسعد ولكن الرجل يصبر على رأيه ويعلن على رؤوس الاشهاد :
إذا كان معنى الحياة أن الغير يسيرنا وإن نكون آلة فى يد
كائن من كان فأننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها لأننا ما عشنا
الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا لتكون احرا ، احرا فى عقائدنا
لحرارا فى أفكارنا ، احرا فى آرائنا ، احرا فى خططنا وإذا كانت
حرية الرأى لم توجد فى كثير من البلاد الا بعد أن ذهب فيها
عدد كبير من الضحايا فليكن كاتب هذه السطور أول ضحية لاحترام
حرية الرأى المصرى .

سألت استاذنا الكبير محمد نجيب الذى عمل مع الرافعى
سنوات عديدة أن يذكر لى بعض الجوانب الخفية عن حياة الرافعى
فقال . كان الاستاذ أمين الرافعى حريصا على أن تظهر صحيفته
الأخبار بأحدث الاخبار حريصا على أن يكون سباقا فى التعقيب
على الأحداث والاتجاهات السياسية .

كان يبكر فى الذهاب الى مكتبه فى الاخبار ولم يكن هذا راجعا
الى ان مبنى الجريدة الضخم يضم منزله الى جانب مطبعتها ومكاتب
ادارتها وانما كان ذلك يرجع اول ما يرجع الى أن عاداته جرت على
الاستقظا مبكرا حتى أنه كان أول من يباشر عمله من المحررين
وموظفى الادارة .

وكانت دار الاخبار تشغل المساحة الكبيرة التى تشغلها فى
الوقت الحاضر المدرسة اليونانية فى ميدان الفلكى وكان حرصه على

السبق في التعقيب يدعو الى الاطلاع على البرقيات الواردة من الخارج برقية برقية وكذلك صحف الصباح صحيفة صحيفة وخبرا خبرا فاذا رأى فيها ضالته المنشودة أسرع بالكتابة ودفع بالمقال الى المطبعة واذا لم ير هذه الضالة فانه يظل يرقب وينتظر حتى يتلقى نبأ من الانباء الجديرة بالتعليق دون أن يؤدي هذا الانتظار والترقب الى تأخير صدور الجريدة عن موعدها لأنه كان سريع الخاطر سريع الكتابة .

ولقد بلغ من خشية حكومات ذلك العهد من أن تفاجأ بعد ساعات من اصدار قانون أو اجراء ترى فيه مادة لهجوم أمين الرافعي عليها أن تحاول تفويت هذه الفرصة عليه فتذيع هذا القانون أو الاجراء في وقت تعتقد فيه أنه يتعذر فيه التعليق عليه حتى لايقترن الصدور بالهجوم فيكون له اثر سييء ضدها في الرأي العام .

ومع هذا فانه كان يفوت على هذه الحكومات غرضها فيلغى مقاله اليومي المعد للنشر اعدادا نهائيا ويكتب مقالا جديدا ينتقد فيه القانون الجديد أو الاجراء الجديد . أما اذا كانت هناك استحالة مادية تؤدي الى تأخير صدور الاخبار فانه كان يكتب اسطرا بعد فيها بالتعقيب في اليوم التالي على أن هذه الاسطر لا تخلو من عبارة لاذعة تنطوى على النقد المر وكان المرحوم أمين الرافعي من كتاب عصره القلائل الذين يقسمون اوقاتهم ويوزعونها بين عملهم وراحتهم وصحيح أنه كان يختلس من وقت راحته ما يضيفه الى وقت عمله ولكنه لم يكن ليعمد الى العكس كما أن مكتبه كان منظما تنظيما يدعو الى الاعجاب فاذا احتاج الى كتاب أو قانون أو ملف ليراجعه ليدعم مقاله به ويعززه فانه لا يضيع وقته في البحث عنه في هذا الدرج أو في ذاك أو في هذا الدولار أو ذاك بل انه يضع يده عليه ويتناوله من مكانه فورا دون أن يعتمد على سكرتير أو موظف يعاونه في ذلك فقد كان رؤساء تحرير الصحف لا يعترفون بالسكرتير أو السكرتيرة وكان من الكتاب القلائل الذين لايعتمدون

على الذاكرة وحدها بل على نصوص القوانين أو الخطابات أو البيانات وكان رحمه الله يعتمد على الارشيف اعتمادا كبيرا فى تقديم الحجة والبرهان ضد خصومه السياسيين حتى لا يخطئ أو تخونه ذاكرته وكان يصرف ساعات من وقت فراغه فى تنظيم أرشيفه وتبسيويه فقد كان يقص من كل صحيفة ما يحتمل ان يرجع اليه من الأخبار أو القوانين أو البيانات أو الخطابات وكان ذلك يكلفه كثيرا من الجهد والوقت . ولقد أصبح هذا الارشيف ثروة صحفية ضخمة . ولا اظن ان احدا من الصحفيين قد سبقه فى اعداد أرشيف صحفى كأرشيفه الذى كان يعد مرجعا تاريخيا . واسأل استاذنا نجيب هل كان الرافعى منظويا على نفسه فيقول : فى اعتقادى أن ما وصف به أمين الرافعى من أنه كان منظويا على نفسه لم يكن صحيحا الى حد كبير . ذلك أن الرجل كان يكرس كل وقته لعمله الصحفى فلم يكن هذا العمل المضنى الذى اخلص له وقتا فى حبه واغرق نفسه فيه الى جانب ما اقترن به من المشكلات الضخمة والمؤامرات الدنيئة التى كانت تدبر للقضاء على صحيفة الاخبار وهذا يعنى القضاء عليه سياسيا - كل هذا حد من اختلاطه بالناس فى الأندية العامة على أنه كان يختلس فى بنى الليالى ساعات من وقته ويقضيها مع زملائه وأصدقائه فى محل (صولت) أو فى بعوكة وحيد بك الأيوبي .

واسأل الاستاذ محمد نجيب عما يعرفه عن نزاهة أمين الرافعى وعفته وطهاره يده فيقول : كنت ذات يوم مع استاذى أمين الرافعى فى مكتبه بدار جريدتى اللواء المصرى والاخبار بعد توحيد الجريدتين بسبب الأزمة المالية ، فجاء مدير الحسابات يعرض عليه شيكا بمبلغ ٢٠٠ جنيه واردا من شركة مياه القاهرة قيمة اشتراك الشركة فى عدددين من الجريدة وطلب منه توقيع الشيك لقبض قيمته من البنك لانه وارد باسمه .

ولم تكن نحن الذين ضمنا المكتب ننتظر الا ان يوقع أمين الرافعى الشيك وتقبض الادارة المبلغ ولكننا فوجئنا به يطلب من مدير

الحسابات رد الشيك وأن يبلغ الشركة بقيمة العسدين اللتين
تطلب الاشتراك فيهما وبدا على مدير الحسابات ما يدل على
عجبه من رد الشيك على حين أن خزانه الجريدة خاوية وإن مبلغ
مائتى جنيه فى هذا الوقت مبلغ محترم يكاد يكفى مرتبات المحررين
شهورا كاملا ويتباطأ فى تناول الشيك وادرك أمين الرافعى مبعث
هذا التباطؤ فقال لمدير الحسابات أننا لا نشترى وقبول هذا المبلغ
معناه تكميم فمى والتغاضى عن اخطاء الشركة وهو مالا يقبله صحفى
شريف .. وذكر الزميل محمد بجيب قصة أخرى فقال : فوجئت
ذات يوم بزميل كانت له علاقات طيبة بالوزارة القائمة وكانت من
الوزارات الرجعية فوجئت به يسألنى فى غضب شديد : هل أمين
الرافعى ده عايز يموت ويحرب بيوت الناس الى بتشتغل معاه .. مش
كفاية هو بينتجر ؟ فقلت لماذا ؟ - فقال اسمع ياسيدى فلان باشا
(وكان وزيرا للداخلية) سمع أن الحجوزات تتوالى على الاخبار
وعلى بيت أمين الرافعى فكلفنى ابلاغه أنه - اى الباشا - مستعد
لسداد كل الديون بلا مقابل .. اى أن يظل معارضا للوزارة ..
ولكن بشرط مهاجمة الوزارة السابقة وكانت وزارة وفدية .. تصور
انه مع هذا السخاء من الحكومة ومع محافظتها على كرامته مع هذا
كنا رفض بدون أى تردد .. ومضى صديقى فقال معقبا ده راجل
فاكر اننا عايشين فى عصر « ابن حنبل » ويسألنى صديقى هذا عن
يستطيع التأثير على أمن ليقبل قلت له لا تحاول .. فأى محاولة
ليست مجدية فالرجل على قدر ماهو عليه من الكياسة ودماثة الخلق
على قدر نزاهته وطهارته ..

وأسأل السيدة الجليلة قرينة المرحوم أمين الرافعى ، عن
بعض النواحي الخاصة فى حياة الفقيد فتقول : كان الرافعى يرى
أن دور المرأة فى المجتمع ضرورى وهام مثل دور الرجل تماما .

وكان مثل هذا الراى متقدما جدا فى عصره وكان صدقا لكل
الناس وكان مؤمنا الى درجة تكاد تكون مثالية . مات ولده عبدالرحمن

بالدفتيريا ، وعندما سمع الصراخ الذى صحب الوفاة قام يصلى
وانكفا على السجادة يبكى وقد اصاب بمرض السكر بعد وفاة
ابنه وكانت الجهود التى بذلها فى آخر ايامه وعدم التزامه اوامر
الطبيب واصراوه على أن يشرف على الاخبار ويكتب كل يوم اكثر
من مقال من الاسباب التى عجلت بوفاته - بعد ان ترك بنتين
وولدا - فى يوم الخميس ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

ان حياة امين الرافعى اسطورة مجيدة خالدة سجلها شاعر
النبل حافظ ابراهيم فى قصيدة له نشير - مجرد اشارة - الى
بعض ابياتها :

ظلم من القبر أن تبلى أنامله فكم رمت فى سبيل الله من خانا
عشرون عاما على الطرس الطهور جرى ما خط فاحشة أو خط بهتاننا
أمين فارقتنا فى حين حاجتنا الى فتى لا يرى للمال سلطانا
ايلبس الخز من لانت مهزته وانت تخرج من دنياك عريانا
ان القناعة كنز كنت حارسه ترى به القوت يا قوتا ومرجانا
فما سعت لغير المجد تكسبه ولا رضى لغير الحق اذعاننا
اودى به السكر المضى ولاعجب ان يورث الحلو مر العيش احيانا
بلغ ثلاثكم عنا ثمحيتنا واذكر لهم ما بعانى قومنا الانا
واضرع الى الله فى الفردوس مبتهلا ان يحرس النيل ممى رام طغيانا

مطابع شركة الإعلانات الشرقية

ان

كتاب « أمين الرافعي » يحكي قصة
عن اشرف القصص لجيصاد صحفي
وسياسي ووطنى فقد كان أمين الرافعي
نموذجاً مشرفاً للصحفيين والسياسيين
وفادى الراى العام .



المؤلف

وفد تولى الاستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي
شقيق المناضل أمين الرافعي طيب الله ثراه .
لتقديم هذا الكتاب بعد ان اطالع على اصوله قبل
ان يدعى ربه بفترة قصيرة .

وكتب الاستاذ الكبير فكرى اباطة مقدمة اخرى
لهذا الكتاب تناول فيها الكثير عن زميله
أمين الرافعي وتلخيصه صبرى ابو المجد .

ان كتاب أمين الرافعي ليس كتاب تاريخ فحسب
هو سيرة تاريخ رجل لعب دوراً خطيباً فى
تاريخ مصر الصحفي والوطنى . أغلق أمين
الرافعي حريته : الشعب ، مع بداية الحرب
العالمية الاولى حتى لا ينشر اعلان الحماية على
مصر .

وأمين الرافعي صاحب فكرة الدعوة لعقد
اجتماع البرلمان المصرى من تلقاء نفسه بعد ان حله
بوناباشا .

وكان أمين الرافعي من اصدق واشرف من حمل
العلم واكثرهم حياءً وایماناً بالحق .

فى اعقاب الحرب اصدر أمين الرافعي صحيفة
الاخبار فكانت اعلاناً حاداً للحرية الوطنية وتوبة
سنة ١٩١٩ .

Bibliotheca Alexandrina



0272008

مطابع شبرا